مجلة العلوم الإنسانية
بجامعة حائل

جامعة حائل
University of Ha'il

مجلة العلوم الإنسانية

دورية علمية محكمة تصدر عن جامعة حائل

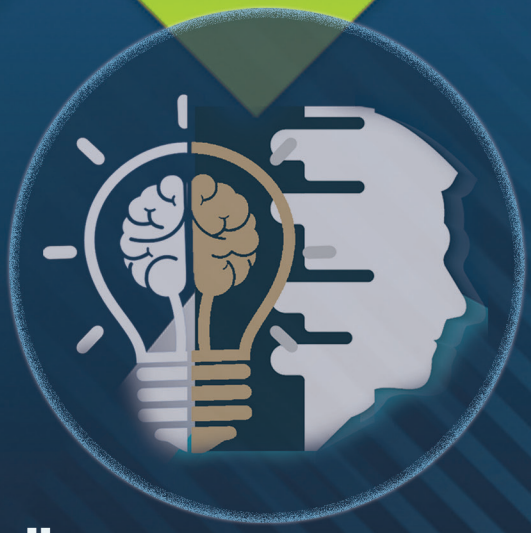

السنة الثامنة، العدد 28
المجلد الثاني، ديسمبر 2025

Arcif Analytics

Print 1658 -788 X
Online E- 8819-1658

مجلة العلوم الإنسانية

دورية علمية محكمة تصدر عن جامعة حائل

للتواصل:

مركز النشر العلمي والترجمة

جامعة حائل، صندوق بريد: 2440 الرمز البريدي: 81481

https://uohjh.com/

j.humanities@uoh.edu.sa

ردمد : إلكتروني E-1658-8819 ورقي 1658- 788X رقم الإيداع 14398368

نبذة عن المجلة

تعريف بالمجلة

مجلة العلوم الإنسانية، مجلة دورية علمية محكمة، تصدر عن وكالة الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي بجامعة حائل كل ثلاثة أشهر بصفة دورية، حث تصدر أربة أعداد في كل سنة، وبحسب اكتمال البحوث المجازة للنشر.

وقد نجحت مجلة العلوم الإنسانية في تحقيق معايير اعتماد معامل التأثير والاستشهادات المرجعية للمجلات العلمية العربية معامل " آرسيف Arcif " المتوافقة مع المعايير العالمية، والتي يبلغ عددها (32) معياراً، وقد أطلق ذلك خلال التقرير السنوي الثامن للمجلات للعام 2023.

رؤية المجلة

التميز في النشر العلمي في العلوم الإنسانية وفقاً لمعايير مهنية عالمية.

رسالة المجلة

نشر البحوث العلمية في التخصصات الإنسانية؛ لخدمة البحث العلمي والمجتمع المحلي والدولي.

أهداف المجلة

تهدف المجلة إلى إيجاد منافذ رصينة؛ لنشر المعرفة العلمية المتخصصة في المجال الإنساني، وتمكن الباحثين –من مختلف بلدان العالم– من نشر أبحاثهم ودراساتهم وإنتاجهم الفكري لمعالجة واقع المشكلات الحياتية، وتأسيس الأطر النظرية والتطبيقية للمعارف الإنسانية في المجالات المتنوعة، وفق ضوابط وشروط ومواصفات علمية دقيقة، تحقيقا للجودة والريادة في نشر البحث العلمي.

قواعد النشر

لغة النشر

1- تقبل المجلة البحوث المكتوبة باللغتين العربية والإنجليزية.
2- يُكتب عنوان البحث وملخصه باللغة العربية للبحوث المكتوبة باللغة الإنجليزية.
3- يُكتب عنوان البحث وملخصه ومراجعه باللغة الإنجليزية للبحوث المكتوبة باللغة العربية، على أن تكون ترجمة الملخص إلى اللغة الإنجليزية صحيحة ومتخصصة.

مجالات النشر في المجلة

تهتم مجلة العلوم الإنسانية بجامعة حائل بنشر إسهامات الباحثين في مختلف القضايا الإنسانية الاجتماعية والأدبية، إضافة إلى نشر الدراسات والمقالات التي تتوفر فيها الأصول والمعايير العلمية المتعارف عليها دولياً، وتقبل الأبحاث المكتوبة باللغة العربية والإنجليزية في مجال اختصاصها، حيث تعنى المجلة بالتخصصات الآتية:

- علم النفس وعلم الاجتماع والخدمة الاجتماعية والفلسفة الفكرية العلمية الدقيقة.
- المناهج وطرق التدريس والعلوم التربوية المختلفة.
- الدراسات الإسلامية والشريعة والقانون.
- الآداب: التاريخ والجغرافيا والفنون واللغة العربية، واللغة الإنجليزية، والسياحة والآثار.
- الإدارة والإعلام والاتصال وعلوم الرياضة والحركة.

أوعية نشر المجلة

تصـــدر المجلة ورقيًّا حســـب القواعد والأنظمة المعمول بها في المجلات العلمية المحكمة، كما تُنشـــر البحوث المقبولة بعد تحكيمها إلكترونيًّا لتعم المعرفة العلمية بشكل أوسع في جميع المؤسسات العلمية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها.

ضوابط النشر في مجلة العلوم الإنسانية وإجراءاته

أولاً: شروط النشر

أولاً: شروط النشر

1. أن يتّسم بالأصالة والجدّة والابتكار والإضافة المعرفية في التخصص.
2. لم يسبق للباحث نشر بحثه.
3. ألا يكون مستلّاً من رسالة علمية (ماجستير / دكتوراة) أو بحوث سبق نشرها للباحث.
4. أن يلتزم الباحث بالأمانة العلمية.
5. أن تراعى فيه منهجية البحث العلمي وقواعده.
6. عدم مخالفة البحث للضوابط والأحكام والآداب العامة في المملكة العربية السعودية.
7. مراعاة الأمانة العلمية وضوابط التوثيق في النقل والاقتباس.
8. السلامة اللغوية ووضوح الصور والرسومات والجداول إن وجدت، وللمجلة حقها في مراجعة التحرير والتدقيق النحوي.

ثانيًا: قواعد النشر

1. أن يشتمل البحث على: صفحة عنوان البحث، ومستخلص باللغتين العربية والإنجليزية، ومقدمة، وصلب البحث، وخاتمة تتضمن النتائج والتوصيات، وثبت المصادر والمراجع باللغتين العربيّة والإنجليزيّة، والملاحق اللازمة (إن وجدت).
2. فـــي حال (نشر البحث) يُزوَّد الباحث بنسخة إلكترونية من عدد المجلة الذي تم نشر بحثه فيه، ومستلاًّ لبحثه .
3. فـــي حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقيّاً أو إلكترونيّاً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحلّيّة والعالمية – بمقابل أو بدون مقابل– وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
4. لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنشر في المجلة إلا بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
5. الآراء الواردة فـــي البحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر الباحثين، ولا تعبر عن رأي مجلة العلوم الإنسانية.
6. النشر في المجلة يتطلب رسوما مالية قدرها (1000 ريال) يتم إيداعها في حساب المجلة، وذلك بعد إشعار الباحث بالقبول الأولي وهي غير مستردة سواء أجيز البحث للنشر أم تم رفضه من قبل المحكمين.

ثالثًا: توثيق البحث

أسلوب التوثيق المعتمد فـــي المجلة هو نظام جمعية علم النفس الأمريكية (APA7)

رابعا: خطوات وإجراءات التقديم

1. يقدم الباحث الرئيس طلبًا للنشر (من خلال منصة الباحثين بعد التسجيل فيها) يتعهد فيه بأن بحثه يتفق مع شروط المجلة، وذلك على النحو الآتي:

أ. البحث الذي تقدمت به لم يسبق نشرة (ورقيا أو إلكترونيا)، وأنه غير مقدم للنشر، ولن يقدم للنشر في وجهة أخرى حتى تنتهي إجراءات تحكيمه، ونشرة في المجلة، أو الاعتذار للباحث لعدم قبول البحث.

ب. البحث الذي تقدمت به ليس مستلا من بحوث أو كتب سبق نشرها أو قدمت للنشر، وليس مستلاً من الرسائل العلمية للماجستير أو الدكتوراة.

ج. الالتزام بالأمانة العلمية وأخلاقيات البحث العلمي.

د. مراعاة منهج البحث العلمي وقواعده.

هـ. الالتزام بالضوابط الفنية ومعايير كتابة البحث في مجلة العلوم الإنسانية بجامعة حائل كما هو في دليل المؤلفين لكتابة البحوث المقدمة للنشر في مجلة العلوم الإنسانية بجامعة حائل وفق نظام APA7

2. إرفاق سيرة ذاتية مختصرة في صفحة واحدة حسب النموذج المعتمد للمجلة (نموذج السيرة الذاتية).
3. إرفاق نموذج المراجعة والتدقيق الأولي بعد تعبئته من قبل الباحث.
4. يرسل الباحث أربع نسخ من بحثه إلى المجلة إلكترونيّاً بصيغة (word) نسختين و (PDF) نسختين تكون إحداهما بالصيغتين خالية مما يدل على شخصية الباحث.
5. يتم التقديم إلكترونياً من خلال منصة تقديم الطلب الموجودة على موقع المجلة (منصة الباحثين) بعد التسجيل فيها مع إرفاق كافة المرفقات الواردة في خطوات وإجراءات التقديم أعلاه.
6. تقوم هيئة تحرير المجلة بالفحص الأولي للبحث، وتقرير أهليته للتحكيم، أو الاعتذار عن قبوله أولياً أو بناء على تقارير المحكمين دون إبداء الأسباب وإخطار الباحث بذلك
7. تملك المجلة حق رفض البحث الأولي ما دام غير مكتمل أو غير ملتزم بالضوابط الفنية ومعايير كتابة البحث في مجلة حائل للعلوم الإنسانية.
8. في حال تقرر أهلية البحث للتحكيم يخطر الباحث بذلك، وعليه دفع الرسوم المالية المقررة للمجلة (1000) ريال غير مستردة من خلال الإيداع على حساب المجلة ورفع الإيصال من خلال منصة التقديم المتاحة على موقع المجلة، وذلك خلال مدة خمس أيام عمل منذ إخطار الباحث بقبول بحثه أوليًا وفي حالة عدم السداد خلال المدة المذكورة يعتبر القبول الأولي ملغي.
9. بعد دفع الرسوم المطلوبة من قبل الباحث خلال المدة المقررة للدفع ورفع سند الإيصال من خلال منصة التقديم، يرسل البحث لمحكّمين اثنين؛ على الأقل.
10. في حال اكتمال تقارير المحكّمين عن البحث؛ يتم إرسال خطاب للباحث يتضمّن إحدى الحالات التّالية:

أ. قبول البحث للنشر مباشرة.

ب. قبول البحث للنّشر؛ بعد التّعديل.

ج. تعديل البحث، ثمّ إعادة تحكيمه.

د. الاعتذار عن قبول البحث ونشره.

11. إذا تطلب الأمر من الباحث القيام ببعض التعديلات على بحثه، فإنه يجب أن يتم ذلك في غضون (أسبوعين من تاريخ الخطاب) من الطلب. فإذا تأخر الباحث عن إجراء التعديلات خلال المدة المحددة، يعتبر ذلك عدولا منه عن النشر، ما لم يقدم عذرا تقبله هيئة تحرير المجلة.
12. في حالة رفض أحد المحكمين للبحث، وقبول المحكم الآخر له وكانت درجته أقل من 70%؛ فإنّه يحق للمجلة الاعتذار عن قبول البحث ونشره دون الحاجة إلى تحويله إلى محكم مرجح، وتكون الرسوم غير مستردة.

13. يقدم الباحث الرئيس (حسب نموذج الرد على المحكمين) تقرير عن تعديل البحث وفقاً للملاحظات الواردة في تقارير المحكمين الإجمالية أو التفصيلية في متن البحث
14. للمجلة الحق في الحذف أو التعديل في الصياغة اللغوية للدراسة بما يتفق مع قواعد النشر، كما يحق للمحررين إجراء بعض التعديلات من أجل التصحيح اللغوي والفني. وإلغاء التكرار، وإيضاح ما يلزم. وكذلك لها الحق في رفض البحث دون إبداء الأسباب.
15. في حالة رفض البحث من قبل المحكمين فإن الرسوم غير مستردة.
16. إذا رفض البحث، ورغب المؤلف في الحصول على ملاحظات المحكمين، فإنه يمكن تزويده بهم، مع الحفاظ على سرية المحكمين. ولا يحق للباحث التقدم من جديد بالبحث نفسه إلى المجلة ولو أجريت عليه جميع التعديلات المطلوبة.
17. لا تردّ البحوث المقدمة إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر، ويخطر المؤلف في حالة عدم الموافقة على النشر
18. يحق للمجلة أن ترسل للباحث المقبول بحثه نسخة معتمدة للطباعة للمراجعة والتدقيق، وعليه إنجاز هذه العملية خلال 36 ساعة.
19. لهيئة تحرير المجلة الحق فـــي تحديد أولويات نشر البحوث، وترتيبها فنيّاً.

المشرف العــــام

سعادة وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

أ. د. هيثم بن محمد بن إبراهيم السيف

هــيئـــة الــتحريـــــر

رئيس هيئة التحرير

أ. د. بشير بن علي اللويش
أستاذ الخدمة الاجتماعية

أعضاء هيئة التحرير

أ. د. سالم بن عبيد المطيري
أستاذ الفقه

د. وافي بن فهيد الشمري
أستاذ اللغويات (الإنجليزية) المشارك

أ. د. منى بنت سليمان الذبياني
أستاذ الإدارة التربوية

د. ياسر بن عايد السميري
أستاذ التربية الخاصة المشارك

د. نواف بن عوض الرشيدي
أستاذ تعليم الرياضيات المشارك

د. نوف بنت عبدالله السويداء
استاذ تقنيات تعليم التصاميم والفنون المشارك

د. إبراهيم بن سعيد الشمري
أستاذ النحو والصرف المشارك

محمد بن ناصر اللحيدان
سكرتير التحرير

الهيئة الاستشارية

أ.د فهد بن سليمان الشايع

جامعة الملك سعود – مناهج وطرق تدريس

Dr. Nasser Mansour
University of Exeter. UK – Education

أ.د محمد بن مترك القحطاني

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – علم النفس

أ.د علي مهدي كاظم

جامعة السلطان قابوس بسلطنة عمان – قياس وتقويم

أ.د ناصر بن سعد العجمي

جامعة الملك سعود – التقييم والتشخيص السلوكي

أ.د حمود بن فهد القشعان

جامعة الكويت – الخدمة الاجتماعية

Prof. Medhat H. Rahim
Lakehead University - CANADA
Faculty of Education

أ.د رقية طه جابر العلواني

جامعة البحرين – الدراسات الإسلامية

أ.د سعيد يقطين

جامعة محمد الخامس – سرديات اللغة العربية

Prof. François Villeneuve
University of Paris 1 Panthéon Sorbonne
Professor of archaeology

أ. د سعد بن عبد الرحمن البازعي

جامعة الملك سعود – الأدب الإنجليزي

أ.د محمد شحات الخطيب

جامعة طيبة – فلسفة التربية

تمثلات الذاكرة السردية: دراسة في رواية (ج) لعبد الله الزّماي

Narrative memory Representations: a study of the novel (G) by Abdullah Al-Zamai

د. شتيوي بن عزام الغيثي الشمري
أستاذ الأدب العربي الحديث المساعد، قسم الأدب والبلاغة، كلية اللغة العربية والدراسات الإنسانية،
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية
https://orcid.org/0009-0002-3562-3575

Dr. Shtayawi Azaam Alshammari
Assistant Professor of Modern Arabic Literature, Department of Literature and Rhetoric,
College of Arabic Language and Humanities, Islamic University of Madinah, Kingdom of Saudi Arabia.

(تاريخ الاستلام: 2025/06/27، تاريخ القبول: 2025/09/28، تاريخ النشر: 2025/10/05)

المستخلص

تسعى هذه الدراسة إلى استكشاف تمثّلات الذاكرة في الرواية، بوصفها واقعاً ماضياً يُستعاد أو يُعاش من خلال السرد، على اعتبار أنّ قصديّة استعادة الماضي أو انفعالية تذكّره هي وقوف ضدّ النسيان لكونه خِبرة من الخبرات الإنسانية المُعاشة، والتعبير من خلالها عن المعاني الإنسانية بواسطة تقنية الاسترجاع الزمني في السرد، والتي كانت إحدى أهم أدوات المفارقة الزمنية في الرواية الحديثة، سواء على مستوى الذاكرة الفردية، أو على مستوى الذاكرة الجماعية التي تقود إلى تأسيس صور المعاني للهوية الجامعة. وتأتي رواية؛ (ج) للأديب عبد الله الزمّاي كأحد الأعمال الروائية السعودية التي اشتغلت على استعادة الذاكرة بشكل كبير من خلال تقنية الاسترجاع السردي، مما جعل الرواية زاخرة بحالة التذكر لأحداث الماضي القريب أو البعيد؛ ولذلك دُرست الرواية وفق المنهج الظاهراتي (الفيمونولوجي) الذي يحاول أن يكشف عن قصدية التذكر في الرواية مع الاستفادة من بعض المناهج القريبة ما أمكن.

الكلمات المفتاحية: تمثّلات، القصدية، الظاهراتية، الذاكرة.

Abstract

This paper examines the representations of memory in the novel as a reconstructed past, reanimated through the narrative structure. The intentionality of remembering the past, or the affective connection with memory, as a struggle against forgetting, in the sense that memory forms a fundamental aspect of human existence, comes into focus. Using the technique of temporal analepsis, one of the most powerful devices of the modern novel›s temporality, the human meanings come to be articulated through the individual›s and/or the collective›s memory and contribute to the narrative construction of a shared self. The novel (Jeem) by the Saudi novelist Abdullah Al-Zamay presents a profound model of Saudi fiction that is deeply concerned with remembering through narrative strategies, and this novel echoes the near and distant past through the narrative. The novel had been investigated through the phenomenological approach, aiming to reveal the intentionality of the act of remembering in the narrative and, in due course, resorting to insights from other critical approaches.

Keywords: Representation. Intentionality. Phenomenology. Memory.

للاستشهاد: الشمري، شتيوي بن عزام الغيثي. (2025). تمثلات الذاكرة السردية: دراسة في رواية (ج) لعبد الله الزّماي. *مجلة العلوم الإنسانية بجامعة حائل*، 02 (28)، ص81 – ص94.

التمويل: لا يوجد تمويل لهذا البحث

Funding: There is no funding for this research

مقدمة:

لعلّ الذاكرة الإنسانية من أهم المعطيات التي يعي فيها الإنسان مشكلة الزمن الذي يعيشه، فالعودة إلى الماضي ومحاولة استرجاعه يعدّ حالة سردية وإنسانية كذلك، تحاول أن تقبض على فترات معينة من الماضي القريب أو البعيد، لأهميتها في الوجدان الإنساني الفردي أو الجماعي، فالذاكرة هي حالة الانفعال التي تجعل العقل الإنساني يتشبث بتلك الوجوه أو الأحداث التي كانت قبل فترة من الزمن، فهي حالة تقف على الضدّ من حالة النسيان التي هي الأخرى فعل تفلّت الماضي، ولذلك يتقصّد الإنسان غالباً في مجهوده إلى الاستذكار والبحث عن مواطن محددة من الماضي واسترجاعها. وعليه فإنّ الذاكرة تشهد فعلاً لواحدة من غاياتها، وهي النضال ضدّ النسيان من أجل انتزاع نتف الذكرى من ضراوة الزمن، فواجب فعل التذكّر في جوهره هو واجب عدم النسيان (ريكور، 2009)

إنّ أهم مقوّم لعملية الذاكرة هي محاولة العودة بالزمن إلى الوراء، وقصديّة هذه العودة هي فعل استرجاع زمني، سواء على مستوى المشاعر الإنسانية الطبيعية أو على المستوى الأدبي؛ للوصول إلى أحداث سابقة، أو أشخاص طوى عليهم الزمن، أو أماكن ارتُحل عنها، لذلك فإنّ قوام الذاكرة هي؛ «إعادة إحياء الماضي عن طريق استحضاره بواسطة عدة أمور أحدها يساعد الآخر كي يعيد إلى الذاكرة أحداثاً أو معارف مشتركة» (ريكور، 2009، ص. 79).

والذاكرة تُعدّ من أهم معطيات الأعمال الأدبية إلى جانب عملية التخييل، وهذا ما جعل بعض النقاد يجعلون من الذاكرة عنصراً جوهرياً للعاطفة الأدبية، فغياب الشيء الحقيقي في المكان والزمان يُعدّ أمراً جوهرياً حتى تصبح لذلك الشيء قوة جمالية، فالتفكير بالأشياء والأحداث والأشخاص بعد غيابها يعني تجربتها مرّة أخرى، بوصفها صورة أدبية غير متطابقة تماماً مع التجربة الأصلية، إلّا أنها تشبهها (ورنوك، 2007)، وربما هذا الأمر هو ما جعل واحداً من أهم النصوص العربية الشعرية يحيل على الذاكرة بوصفها من أهم المعطيات لتوليد الشعرية في بيت امرئ القيس الشهير: «قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزل» (القيس، 2000، ص. 164)، ولعلّ قصدية التذكر عند هذا الشاعر عائدة إلى مدى التفاعل الشعري مع الزمن وفعله في الوجود الإنساني، وهو تعبير درامي عن نسبية الزمن، فالأحداث المتذكّرة تأتي من الماضي وهي الحقيقة الواضحة بالنسبة إليه، لذلك يصر الجاهلي على حالة التذكر حفاظاً على الذاكرة الجمعية من الضياع وحراستها وترميمها باستمرار من خلال إدماجها في تجربته الشعرية (العسري، 2021). وأدبية الذاكرة هي جزء من الواقع المعيش كما يسميها (هوسرل)، فهي تنشأ من قصدية استرجاعية _إذا صح التعبير هنا_ بمعنى؛ «أنها تقصد شيئا ما وتتعلق بهذا النحو أو ذاك الموضوع» (هوسرل، 2007، ص. 93)، والعودة إلى الماضي هي تقصّد باستحضاره عن طريق الأدب لما تفعل الذاكرة في الوجدان الإنساني، لذلك فالذاكرة في الأدب هي أحد الخبرات الجمالية بحيث تمتلئ الذاكرة بالكثير من المعاني الأدبية.

وبما أنّ الحالة الأدبية السردية هي حالة تخييلية قبل أي شيء آخر فهي ترتبط بعملية الذاكرة من خلال تمثلات السرد لهذه الذاكرة، ويُقصد بالتمثلات هنا تلك الطرائق الثقافية أو الرموز المتعددة التي يمكن من خلالها أن تظهر الأبعاد التكوينية للإنسان ومنها حالات التخيل والتذكر بالطبع، بحيث تتجلى كل معاني الأفعال الإنسانية المصنوعة من خلال الرموز، ويسعى التأويل إلى فهمها وتداخلها مع الواقع والتجربة والعالم والوجود لكي تتكشف عناصر المعنى نفسه (ريكور 2005 ص. 98) والأدب أحد أهم تلك الأفعال الإنسانية التي تظهر فيها المعاني المعبّر عنها بالرموز القولية والمجازية وكما يؤكد بول ريكور بأنه لا رمزية قبل الإنسان الذي يتكلم وإن كانت قدرة الرمز متجذرة في الأعماق إلا أن الكون والمتخيل يبلغ غايته في أنماط التعبير العديدة بواسطة اللغة التي تتكئ على الاستعارات والتشبيهات والمحاكاة وغيرها (نفسه ص:45).

ومن هذا المنطلق يفرض علينا المنهج الظاهراتي (الفيمولونوجي) حضوره في تناول الخبرة الأدبية السردية للذاكرة، ذلك أنّ الظاهراتية هي محاولة منهجية للخبرة المباشرة بالأشياء، وإعادة النظر في المعاني والرؤية التقليدية لمواقف حياتنا الواقعية، بواسطة الرجوع إلى الأشياء ذاتها، بوصفها خبرة مُعطاة لكي يهبها الإنسان المعاني المعبّرة، أو يملأ القصديات الفارغة بالمعنى، وهي ذاتها الخبرة الأدبية التي تسلك المنهج ذاته بلغتها الخاصة، فالأدب يهب الأشياء معناها من خلال اللغة والصورة الفنية التي تكشف الأشياء في بداهتها الأولى (توفيق، 2015)، والذاكرة أحد تمثلات الخبرة الأدبية التي تعود إلى الأشياء في ماضيها وتكشفها أو تمنحها المعاني، والعودة هذه تفترض نظراً خاصاً للأشياء والأحداث لما يكتنف الذاكرة من نسيان، وهذا يعني أنّ قصدية الذاكرة تذهب إلى أمور محددة وفق منظور المتذكر _ وهذا ما سيتضح مع التطبيق على الرواية_ لأنّ الذاكرة أحد تمظهرات الوعي لحقيقة الأشياء، والوعي عند (هوسرل) لا يجعل الأشياء كما كانت في التاريخ؛ بل تكون معطيات داخل الوعي (خوري، 1984)، وهي هنا الوعي الذاتي للشخص المتذكر، وقد كانت الذاكرة محل درس في الظاهراتية بحيث يتم التفريق بينها وبين الخيال على رغم تداخلهما لدى بعض المناهج الأخرى؛ لأنّ الذاكرة من وجهة نظر الظاهراتية تنتمي إلى عالم التجربة التي هي عالم مشترك مع الآخر وفق أفق متعين، في حين ينتمي الخيال إلى عالم اللاواقعية الذي هو أكثر حرية في أفقها غير المتعين (ريكور، 2009)، والأدب الذي يحاول استحضار الأحداث الماضية إنما يحاول تمثيلها في واقعها السابق، وفق رؤية الذات الأدبية في حاضرها، بمعنى إيجادها في الحاضر من خلال الذاكرة، ولعلّ الظاهراتية التأويلية لدى بول ريكور الذي استفاض في دراسة الذاكرة السردية والزمن، تكون معيناً في اتجاه القراءة، إلى جانب الاستفادة من بعض المناهج المختصة بعلم السرد الحديث التي لها ارتباط بالظاهراتية، وتضيء جوانب من الدراسة.

ورواية (ج) لعبدالله الزمّاي إذ تستحضر الماضي فإنما تعود إلى العديد من الأشياء والأحداث والأشخاص، وفق منظورين سرديين

يجعل الوعي للواقعة الواحدة وعياً مختلفاً، وهذا ما يجعل المعنى يتشكل بحسب سردية الذاتين المتذكرتين للماضي، وهذا يقود إلى فحص وجهتي النظر السردية على طول الرواية وعلاقتها الوصفية بالأشياء.

أهمية الدراسة

تكمن أهمية دراسة تمثلات الذاكرة السردية في أنها تكشف عن البنية العميقة للنصوص الروائية، فهي ليست مجرد أداة لاسترجاع الماضي وإنما آلية تتيح للنص الأدبي إعادة إنتاج العالم، حيث إن دراسة النص برؤية نقدية يمكن أن تكشف عمّا يلي:

1. دراسة الذاكرة بوصفها أداة لفهم تعدد المنظور السردي حيث تتجلى الأحداث في الرواية موضع البحث من خلال وجهات نظر مختلفة بين الأخوين وهنا تصبح الذاكرة وسيلة لكشف نسبية الحقيقة.
2. البحث في الذاكرة على أنها تجلٍ للتجربة الفردية والجماعية إذ أنه من خلال تحليل الذاكرة السردية يتضح كيف يمكن لتلك التجارب الشخصية أن تتحول إلى تجارب جمعية تأكيداً على اندماج الخاص بالعام، ويصبح ما عاشه الأفراد جزءاً من سردية كبرى.
3. قراءة الذاكرة هي محاولة لمقاومة النسيان، فهي ليست مجرد أرشيف أدبي للماضي، ولكنها صياغة للذوات الفردية والهويات الجمعية عبر اللغة والخيال، ويكشف ذلك عن دور الأدب في تثبيت الوعي العام.
4. كشف البعد الجمالي للذاكرة إذ أن توظيف تقنيات السرد الاسترجاعي والانزياح الزمني يعزز من جماليات النص، ويضيء مساحات واسعة من قدرة الأديب على توظيف الذاكرة بوصفها أداة روائية مهمة.
5. المساهمة في البحث النقدي عن تمثلات الذاكرة السردية لفتح نوافذ عديدة لفهم اشتغال الذاكرة في النص الأدبي ومدى إمكانية النقد في التعامل مع النصوص من زوايا جديدة، وقدرة المدرسة الظاهراتية في قراءة النصوص السردية وربطها بالتجربة الإنسانية.

الدراسات السابقة

- الذاكرة وآليات اشتغالها في الرواية العربية. عزيز العرباوي. دار الثقافة بالشارقة 2022م وهو كتاب يعتمد دراسة الذاكرة ومدى حضورها في الرواية العربية مستنداً في تطبيقه على عدد من الروايات المختلفة، وهذا الكتاب رغم اتصاله الوثيق بالبحث إلا أنّه يختلف عنه في اتساعه بحيث يشمل أمور عديده في التاريخ والمتخيل وغيره، في حين يقتصر البحث على فعل الذاكرة السردية القريبة وعلاقتها بالهوية الشخصية في رواية: (ج) دون اتساعها لجوانب أخرى لا صلة لها بالموضوع.
- من التاريخ إلى الرواية: الذاكرة الجمعية مصدراً للسرد. إدريس الخضراوي. تبين للدراسات الفلسفية والنظريات النقدية. المجلد 9 العدد 33 تاريخ النشر 1/ 7 / 2020م وهو بحث يتوسع في رصد التحول من التاريخ الإنساني وإلى الرواية الحديثة وهو اشتغال يبتعد عن مجال البحث حيث يركز على الذاكرة الرواية من خلال رواية (ج) بوصفها عملاً أدبياً، وإن كانت يعتمد على ما في التاريخ من ذاكره لكنها تبقى في الإطار الأدبي وهو مجال البحث النقدي هنا.
- بحوث ودراسات تختص في روايات محددة مثل: التخييل التاريخي واستدعاء الذاكرة في رواية الديوان الإسبرطي، والذاكرة ملاذ السرد: قراءة في ثلاثية أحلام مستغانمي، وتمثلات الذات والذاكرة في ذاكرة وغيرها من الدراسات وهي كلها مقتصرة على روايات محددة تختلف عن رواية: (ج) موضع البحث وإن كانت تتقاطع معها في بعض الجوانب النظرية نسبياً.

الذاكرة والسرد:

إنّ من أهم الأركان الأساسية في العملية السردية هو ارتباطها الوثيق بالزمن، فلا يكون السردُ سرداً إلّا كان الزمن عاملاً أساسياً فيه، ولا يمكن إغفال العنصر الزمني؛ لأنّ السرد هو نتاج أدبي داخل الحالة الزمنية، سواء للسرد أو للقارئ أو للحبكة ذاتها، فلا بدّ أن تسرد الحكاية في زمن معين، سواء كان سردياً ماضياً أو حاضراً أو مستقبلياً، ومن هنا تأتي أهمية التحديدات الزمنية لمقتضيات السرد (البحرواي، 2009)، وعملية تزمين السرد أُسندت في الأساس إلى اللغة التي تقوم بدور تجلية هذا الزمن السردي، فمن خلال اللغة تظهر التجربة الإنسانية، ذلك أنّ تجربة الإنسان هي تجربة في اللغة نفسها، ومن هنا تحيل الزمن إلى واقع لغوي، فالوظيفة السردية في أيّ عمل أدبي هي الطبيعة الزمنية للتجربة الإنسانية_ كما يرى (بول ريكور)_ فالعالم السردي هو عالم زمني، ولا يصير الزمن زمناً إنسانياً مالم ينتظم وفق النمط السردي، والسرد بدوره يكون ذا معنى حين يصور ملامح التجربة الزمنية (ريكور، 2006، ج1)، فهو يرى بأنّ العامل الزمني للإنسان لا يمكن أن يتحقق إلّا وفق عملية السرد، يقول ما نصّه: «يصير الزمن إنسانياً بقدر ما يتمّ التعبير عنه من خلال طريقة سردية، ويتوفر السرد على معناه الكامل حين يصير شرطاً للوجود الزمني» (ريكور، 2006، ج1، ص. 95)، ومن هنا فإنّ الشخصيات والأحداث والأمكنة في السرد تتصل اتصالاً وثيقاً بالزمن، فأحداث التاريخ والعصر كلّها تشكل عوامل حاسمة في تركيب الحبكة والشخصيات وهوياتها إزاء ذاتها أو إزاء محيطها، وهنا تأتي أهمية الذاكرة السردية التي بواسطتها تشكل وعي الفرد، بحيث يترك التعاقب الزمني آثاره الأبدية في الشخصيات، مما يعني التعرف على صور الماضي أو العثور عليها لوجود هذه الذكرى المعيّنة، وهي الخطوة الأولى نحو قبولها، ومن ثمّ يطفو الماضي المعيش وغير المعيش باستمرار في حيوات الشخصيات مع الحاضر في الوقت نفسه، ولذلك يفترض سرد قصة ماضية حضورها في الذاكرة بصورة مسبقة، فـ «التذكّر يعني استحضار صورة معينة

للماضي، وتعتبر علامة دائمة خالدة في الذهن ذلك هو التقليد السردي والتاريخي الموروث عن الماضي، والذي يوضع رهن إشارة الروائيين، وهو تقليد يحضر في شكل آثار وصور وذكريات غير أن التبئير يكون على الزمان الحاضر لأنه الزمان الوحيد الذي نعيش فيه ونحيا ونتعايش ونتفاعل مع مشاكله وأزماته وتطلعاته» (النحال، 2024، ص. 140)، وهذا الأمر يجعل الذاكرة تتقاطع مع الحاضر في أثناء سردها، لكنها تعود بالذاكرة إلى الماضي واستحضار صوره العديدة؛ لإعادتها إلى الظهور من جديد، لذلك كانت الذاكرة من أهم المواد الأساسية التي يتشغل عليها الروائيون لبناء أعمالهم القصصية، وهي الفكرة ذاتها التي اعتمد عليها الروائي (ماركيز) في مقولته الشهيرة: «الحياة ليست ما يعيشه أحدنا، وإنما هي ما يتذكره، وكيف يتذكره ليرويه» (ماركيز، 2005، ص. 7). ورواية الأحداث الماضية حتى لو كانت فتراتها قريبة هي في صميم تسريد الذاكرة التي تمنح الصور المستحضرة من الماضي معانيها، ومن طبيعة الأعمال السردية أنها تقوم على المفارقات الزمنية، التي تؤكد حضور الذاكرة والتخييل، على اعتبار أنّ أيّ قصة تروى لا بد أن تكون قد انتهت أحداثها على الأقل في زمن الحكي داخل الرواية نفسها، ولعلّ هذا ما يفسر حضور عديد من الروايات على صيغة الماضي؛ لأنّ السرد في جانب من جوانبه حضور للذاكرة، فليس الماضي هو ما مضى، وإنما ما نحاول أن نعيد استرجاعه في الصيغ الخيالية التاريخية على حدّ تعبير (ريكور، 2016). ومن ذلك تصبح الذاكرة السردية أساساً في عملية تخليق الحدث، والعودة إلى الوراء قليلاً يفترض السردية الاسترجاعية للماضي التي هي في صميم عمل الذاكرة وتزمينها في السرد الحاضر، مع اعتبار الجانب الخيالي الذي يجعلها تبتعد مسافة عن التوثيق التاريخي.

نرى ذلك في رواية (ج) التي تحيل على الماضي في كامل العمل الروائي، حيث تعتمد الرواية سردية كتابة المذكرات التي تتناوب فيه عملية الحكي بين الطفلين؛ محمد الأكبر، وعبدالله الأصغر، حتى تصبح الحكاية الواحدة بذات منظورين مختلفين، فكلا الساردين يكتبان من الزاوية التي ينظر فيها كلّ واحد منهما إلى حياة القرية من ذاكرته أو رؤيته الخاصة، حتى كاد السرد أن يختلف إلى حدّ كبير، وربما تعدّى ذلك إلى اختلاف كذلك حتى في دافعية كتابة الذاكرة. يقول محمد: «لا أعرف على وجه الدقة ما الذي دعاني إلى كتابة هذه الأوراق، كنت قد رأيت عبدالله يكتب ذات يوم، ولم يمكنني من رؤية ما يكتب، ولم أشأ أن أفتش وأفتضح هذا السر مخافة أن أرى أو أقرأ شيئاً يؤذيني... اعتبرت أن معظم أيامي فارغة وصدئة وشبيهة بتلك القوارير المرمية على جوانب الطريق، حتى إنني لم أتخيل يوماً أن أكتب عن أيامي كل ما كتبته، حتى إنني بمجرد أن أمسكت بالقلم وبدأت الكتابة حتى انثالت علي الذكرات كتلال رملية ناعمة، لكنها لا تخلو من بعض الأحجار» (الزمّاي، 2024، ص. 128). وهنا نلحظ أنّ عملية التذكر هي في الأساس تأتي في حالة قصديّة من الكتابة السردية وأقصد بذلك أن الكاتب يعود قصداً بالذاكرة من أجل فعل السرد، وهذا يجعل من الذاكرة حالة فاعلة في استرجاع الماضي والذكريات القديمة ليصبح هذا الاسترجاع حدثاً أساسياً في ذلك السرد، ولذلك فهي تنهال كما في وصف السرد أعلاه على السارد ليعيد تسريدها من جديد، مثل تلك الرمال الناعمة التي تتابع حباتها في الانثيال، فتعيد الأحداث الماضية إلى حاضر عملية السرد، وهذه القصدية في العودة إلى الماضي وكتابة الذاكرة قد لا تكون واضحة الأسباب في بعض الأحيان، لكنها كفيلة بإعادة ترتيب أحداث الأمس في ذهن مستعيديها، وربما تكون المسألة نوع من الذاتية التي تدفع الإنسان إلى تصور حياته وفق ترتيب معين، من أجل وعيها بشكل أفضل وإعطاء رؤية خاصة عن الحياة والمجتمع، أو هي عملية ذاتية لمحاولة الفهم، فصارت كتابة الذاكرة مساحة يُلقي بها الإنسان ماضيه تماماً، مثل صورة الخنبش في الرواية، الذي هو ارتداد ضيق بين البيت وسوره، فتعمل الذاكرة على ملء ذلك الفضاء الضيق من خلال السرد لوعي الحياة التي يعيشها، لذلك يواصل محمد تصور الحياة كما يراها شبيهة بذلك الارتداد الضيق: «كنتُ أتصور أن ليست البيوت وحدها من تمتلك مثل هذا الخنبش، بل حتى النفوس البشرية كذلك... هي بحاجة أمس من البيوت إليه... يلقي فيه ما لديه من ذكريات قديمة لا تخلو هي الأخرى من أفاعيها وثعابينها السامة... ومن يدري ربما تتصدى ليها يوماً عصا النسيان فتمحوها...» (الزمّاي، 2024، ص. 129). وإذا كان سرد الذاكرة أقرب إلى ذلك التشبيه (الخنبش) فإنّ محاولة ملء فضائه الضيق هو شكل من أشكال الفهم باستعادة الشيء ووعي حضوره، ليكون أكثر وعياً للحياة المسرودة التي تخالطها الكثير من صعوبات الحياة ومخاوفها، تماماً كما هي ثعابين ذلك الفضاء الضيق، مع اعتبار أنّ النسيان يبقى ذلك الحاضر إلى جانب الذاكرة التي هي مقاومة النسيان، ولذلك يتحوّل فضاء الارتداد بين البيت والسور إلى صورة من صور الذاكرة التي كان على الأحداث أن تتراكم فيه؛ لتصبح قريبة من المخزون الذي يتشكل وفق اللغة أو وفق عملية القصّ الذي يمكن معه البناء القصصي، وهذا ما يشير إليه أحد الباحثين الذي يرى أنّ الحكي من خلال السرد واللغة يسعى إلى بناء الحكاية، التي تتوالد عبر تلك السرود الباحثة عن تشكيل مجازات أو محاكاة لخزائن الذاكرة (حليفي، 2015)، ولأجل ذلك يتحوّل الخنفش مع السارد إلى تشبيه سردي لهذه الذاكرة المسرودة.

وإذا كانت الدوافع لسرد الذكريات غير واضحة المعالم أو هي محاولة لفهم العالم لدى السارد محمد، فإنّه لدى السارد الآخر؛ الأخ الأصغر عبدالله، يذهب باتجاه محاولة التخلص من العبء الثقيل لأخطاء الماضي أو للماضي كلّه، ولا يكمن هذا التخلّص إلّا من خلال الكتابة، التي ربما كانت الحلّ الوحيد للتخفيف عن النفس مما يثقلها ، لذلك شرع في سرد ما يؤلمه بسبب تصرف طفولي صغير، حين أبلغ فيه عن اختباء شاب يلاحقه غرماؤه ليجدوه حيث أبلغهم بمكانه وكأنّه كان سبباً في أذاه، وهنا يأتي دور سرد الذاكرة من أجل الخلاص من تأنيب النفس، بعد أن نصحه زميله بكتابة ما يؤلمه: «فكّرت أن أكتب هذه الذكرى لأهش عن طنينها المزعج ولسعها الأليم كنحلة هاربة من خليتها، ولكني ما إن أمسكت القلم والدفتر أمامي، حتى شعرت بكل ذكرياتي تؤلمني، فاحترت من

أين أبدأ بسرد أوجاعي؟» (الزمّاي، 2024، ص. 112). وقصدية السرد هنا تختلف عن قصدية السرد لأخيه في المقطع السابق، الذي كانت الذكريات فيه تنهال عليه، في حين تبقى الذاكرة هنا في حالة ألم أو ذكريات فوضى عديدة تحتاج إلى ترتيب، وهنا يأتي الاختلاف في الدوافع السردية، فإذا كان سرد الذاكرة أقرب إلى ملء فراغات المخزون الماضي بالنسبة للأول، فإنها لدى الثاني حمل ثقيل يصعب معه التحوّل السّلس إلى السردية.

إنّ محاولة تسريد الذاكرة هنا تأخذ طابع الخلاص من الخطيئة أو الذنب المتوهّم، أو مشكلة السقوط كما هو التعبير الشائع عند الوجوديين، وهنا تصبح كتابة الذاكرة فعلاً أخلاقياً، على اعتبار أنّ الشرخ الذي حصل يمكن تجاوزه من خلال سرد الذكريات. بمعنى آخر هي كتابة الذات التي عاشت الفجوة بين واقعها وإمكاناتها، والخلاص من الاغتراب الذاتي إلى إمكانية أخلاقية حتى لو من خلال السرد (ماكوري، 1983)، وربما يتعدى الأمر إلى أنّ سرد الذاكرة كما ظهر في النصّ هو جزء من استعادة الذات المسلوبة بسبب سطوة الآخر، الذي هو هنا الفتى الذي أبلغ عنه أمام غرمائه، فعاش فترة من الزمن أمام قلق انتقامه، فنراه يصرح في ذكرياته: «كان الخوف يلازمني كلما نظرت في عين فواز، أو تم ذكره أو تذكرته أو تخيلته» (الزمّاي، 2024، ص. 111). وهنا تكون عملية السرد خروج من الاستلابية، بحيث تصبح الأنا محاصرة بسبب الآخر، ولعلّ هذا الأمر يحيل إلى أغلبية الروايات العربية التي تحضر معها الذاكرة المسرودة في حضور سرد الذات، بوصفها شعور بضياع الهوية، أو هي بحث عن الذات المفقودة أمام سيطرة الآخر (العيسى، 2013)، وهذه الذات المفقودة سيكون حضورها في حالة من قلق الهوية التي تجعلها في بحث عن الاستقرار والطمأنينة ليأتي السرد معيناً هنا، سواء على مستوى الذاكرة أو على مستوى سرد الذات نفسها وعلاقتها بالآخرين.

لكن تفعيل الذاكرة قد لا يكون بسبب محاولة استرجاع الماضي، بقدر ما هي سؤال الحاضر الذي سُردت فيه الذاكرة، فالعودة إلى الوراء، أو السفر الزمني الذهني، كما يحبّ أن يصفها بعض النقاد، يمكن أن تكون سؤالاً عن قضايا الحاضر أو مشكلاته، فمن قبيل الظنّ أنّ خبرات الحياة تستلزم وجود الإنسان في حاضره الذي يفكر فيه، فالحاضر الذي يُختبر إنما يقع وفق اللحظة الزمنية في أفعال الوعي، وعلى هذه الفكرة يمكن أن تكون سردية الماضي إنما هي تعبير عن لحظية السرد، وقد تكون هي المؤثر في ترميم الماضي أو ترتيبه مع المعطيات التي تمنحها الذاكرة لتلك السردية، فالعودة إلى الوراء من خلال الذاكرة هي بسبب استحضار الحاضر لها لأي سبب كان، ليتمّ إعادة تشكيل الماضي وفقاً لحاضر العملية السردية.

نرى سؤال الحاضر في الرواية مطروحاً في الفصل الأخير، الذي يتساءل فيه أبو فهد عن ذكريات الطفلين، وهل كانت ذكرياتهما تنتمي إلى الماضي فقط؛ لأنّه يرى أنّ كثيراً ما غيّر المستقبل واختلاف المآلات الذكريات، وحدد قيمتها، فإذا ما كانت المآلات ناجحة وذات قيمة فإنّنا نحشو الماضي بما يتوافق معه، وإذا ما كانت المآلات خاسرة ومهزومة ومأساوية فلا قيمة للذكريات مهما كانت عظيمة، ذلك أنّ الأحداث تحصل في الحياة بشكل فوضوي ومتشابك، ونحن من نعيد ترتيبها حين نهمّ بروايتها، فلا تنام أسماك الذكريات في ماء الماضي الراكد، فما يحدث في المستقبل قد يكون حجراً يحرك المياه ويهزها فيغيّر من ترتيبها (الزمّاي، 2024)، ولعلّ عملية السرد هي ما تستوجب العيش في الماضي أو الذهاب للمستقبل أو حتى سرد الحاضر بكل تصوراته، مما يجعله واقعاً معاشاً في الحاضر بكلّ أبعاده، وهذا ما تحاول أن تطرحه الشخصية السردية الثالثة؛ أبو فهد، في آخر الرواية، بأنّ الأحداث تحدث حين تسرد، وليس كما هي في حقيقتها المعاشة: «ربما تحدث الأحداث حين تروى، وليس فقط عندما تحدث» (الزمّاي، 2024، ص. 132). وهذه الجزئية تحديداً تتقاطع في جانب منها مع رؤية (بول ريكور) الذي يعتبر أنّ التجربة الحياتية تُعاش من خلال السرد، فأحداث الحياة تُسرد في جوانب عديدة ومختلفة لكي تفهم أو يُعبَّر عنها بالسرد، ولعلّ الحدث الماضي يكون حاضراً في عملية التخييل التي تُحدث أو تعيد ترتيبه وفق زمنية السرد؛ ولهذا فالزمن والذاكرة والتخييل تعمل كلّها مجتمعة على صناعة الحدث السردي، فـ «إذا صح أن الخيال لا يكتمل إلا بالحياة، وأنّ الحياة لا تفهم إلا من خلال القصص التي نرويها، إذن فالحياة المبتلاة بالعناء ... هي حياة تُروى» (ريكور، 1999، ص. 52). وهنا تنتقل الذاكرة في القصة إلى معطى سردي، وهو المعطى الذي يمكن أن تتخلله الكثير من الأخيلة؛ لأنّها أرضية خصبة لأن تتحوّل إلى عملية سردية، مع اعتبار أنّ هذا التحوّل يفرض شيئاً من الاستصلاح _إذا صح التعبير_ لأرضية الذاكرة، فما هو صالح للسرد يبقى، وما هو غير صالح فسيتم إهماله أو إسقاطه في خانة النسيان، وعلى هذا يكون السرد أقرب إلى فحص الذاكرة من جديد، وإعادة صياغتها وترتيبها، وإعادة إنتاجها في الرواية؛ ولذلك يذهب أبو فهد إلى جعل ذكريات الولدين أحداثاً معادة داخل السرد: «تحدث كل هذه الأحداث ثم تتحول إلى نباتات وأعشاب في أرض الذاكرة، ما تحمله منها يموت بحينه، مثل نبتة صغيرة تستطيع مقاومة العطش والجفاف، أما ما تتعهده بالتذكر والوراية بين حين وحين، فما تذكرها هذا إلا ماء يسقيها لتنمو وتكبر، وقد تكبر وتتفرع بأغصان شوكية طويلة ومتعجرفة ومتشابكة ما تلبث أن تسد عليك منافذ نفسك» (الزمّاي، 2024، ص. 135). وفي ذلك حضور للنسيان إلى جانب الذاكرة، وهما ثنائيتان تفترضان عملهما معا، فلا يمكن للأحداث المستعادة في السرد إلّا من خلال عملية فرز الذاكرة ونسيان بعضها، وهذه الخاصية تجعل من الحدث حدثاً أقرب إلى القصدية التي استهدفت ذلك الحدث وأبرزته دون الأحداث الأخرى.

وعلى ذكر المتخيل الذاتي في السرد، فالعمل على محاولة استذكار الماضي وتسريده ربما يكون هو بذاته جانباً من جوانب المتخيل؛ لأنّ ثنائية الذاكرة والخيال تُعدّان من أهم ركائز التشكيل السردي، فالذاكرة ليست مجرد مستودع للوقائع الماضية، وإنما تعاد صياغتها وفق الحاجة الجمالية للسارد، وفي المقابل يمكن أن يكون

المتخيل السردي فضاء تمتزج فيه الذاكرة بالخيال لتنتج رؤية جديدة للعالم أو الذات، فالمتخيل السردي عند (غي بوشيه)؛ هو القدرة الذهنية على توليد المعاني والصور، سواء تلك المستمدة من الواقع أو المصاغة عبر الخيال (بوشيه، 1991، ص45)، ومن هذا المنظور يتجاوز المتخيل السردي مجرد التخييل ليصبح فضاءً لابتكار الحقيقة أحياناً، حيث يعاد تشكيل الحياة من خلال إعادة إنتاج الذاكرة بوسائط رمزية وجمالية، فالمتخيل لا ينفصل عن الذاكرة بل يستد منها المادة الخام ثمّ يعيد تشكيلها ليخاطب القارئ عبر رمزيات متعددة وفق مفهوم التمثلات الذي ذُكر سابقاً لدى بول ريكور، وتظهر هذه المسألة في سرد الأخوين في الرواية، حين يُستفز الأخ الأصغر من ذكريات يتحدث عنها أخوه، ليس لأنّه لا يعرفها، وإنما أيضاً يرويها مشوّهة أحياناً، وبتفاصيل مختلفة يعيد ترتيبها كلّ مرّة فتسقط منها بعض الأحداث، ويستشهد بالقصة الواحدة لفكرتين متناقضتين (الزمّاي، 2024، ص45)، مما يدل على أنّه محاولة إعادة الصياغة مرّات عدة ضمن متخيل جديد لذاكرة قريبة أو بعيدة، ما يعني أنّ الذاكرة تعمل بوصفها خطاباً يخضع للانتقاء والإقصاء والتبديل والتخييل أحياناً، ويعاد تشكيل الحدث داخل النصّ السردي وفق منظور الذات الساردة، وبالتالي لا يمكن الحديث عن ذاكرة خالصة، ولكن عن تمثيل للذاكرة يستحضر الماضي ليؤسس متخيلاً لمعاني الحاضر، وهذا ما لاحظه السارد أبو فهد في نهاية الرواية، الذي كان حذراً من التعويل على روايتهما للأحداث، وهذا ما يبرر له التدخل فيها، ذلك أنّ الذاكرة البشرية ليست أداةً للتسجيل وإنما نظام معقد من الذكريات، تستند فيه إلى كثير من العوامل التي لم تكن الحياة المُعاشة إلّا عاملاً واحداً منها (الزمّاي، 2024)، وهذا الفعل السردي يدمج حالة التخيل بالذاكرة، كما فعل أبو فهد في ذكريات الأخوين؛ لأنّ العلاقة بين الذاكرة والمتخيل السردي ليست علاقة استنساخ للواقع، وإنما تتعدى إلى أن تكون حالة خلق وتحوّل، تُعيد من خلالها الذات بناء نفسها وبناء العالم من حولها، فالذاكرة ليست سجلاً محفوظاً، ولكنه أمر مشروع سردياً، يُخضع الماضي للتمثل الفني، والمتخيل بدوره ليس هروباً من الواقع بقدر أنّه وسيله لتفكيكه وإعادة صياغته، وهذا يستلزم حضور كليهما؛ الذاكرة والخيال في الكتابة السردية الأدبية، وهكذا يكون السرد والذاكرة في سياقين يرفدان بعضهما، فالعلاقة بينهما علاقة دائرية؛ الذاكرة تغذي السرد بالمادة والموضوعات والشخصيات، والسرد يعيد تشكيل الذاكرة ويمنحها معنى وتماسكاً، وهذه العلاقة الدائرية تتجلّى بوضوح في الرواية، حيث تتغذى من ذاكرة الشخصيتين الرئيسيتين، لكنّها في الوقت نفسه تعيد تشكيل هذه الذاكرة وتمنحها معنى وتماسكاً من خلال السرد، مع أهمية ما أكده (ريكور) من أنّ الذاكرة تقع في فخ الخيال، فلا يستطيع التحليل الظاهراتي أن يتجاهل هذا الفخ؛ لأنّ وظيفة الذاكرة تسير إلى جانب وظيفة الخيال في تحويل الماضي إلى صور مما يحيل على عدم الوثوق بالذاكرة (ريكور، 2009).

الذاكرة السردية الجماعية

إذا كانت الذاكرة السردية تشتغل على المستوى الفردي في الكثير من الأحيان، فإنها، من جانب آخر، تحيل على مرجعية جماعية، إذ يشير مفهوم الذاكرة الجماعية إلى الذكريات والتصورات والمعارف المشتركة بين أفراد مجموعة اجتماعية معينة، والتي تشكل هويتها وتماسكها وتواصلها عبر الزمن. وقد أكّد عالم الاجتماع الفرنسي (موريس هالبفاكس) على أنّ الذاكرة الجماعية ليست مجرد مجموع الذاكرات الفردية، بل هي بناء اجتماعي يتشكل من خلال التفاعل بين الأفراد والمجموعات، ومن خلال المؤسسات والممارسات والرموز والطقوس التي تنقل الذكريات وتحافظ عليها (هاليفاكس، 2016)، فالذاكرة الفردية جزء من تشكيل الذاكرة الجماعية، كما أنّها تشكيل لها، والمقصد هنا أن الأفراد في المجتمع المحيط لهم دور كبير في تشكيل وعي الجماعة أو تشكيل التصورات العامة للأفراد.

إنّ الذاكرة الإنسانية، كما يرى (ريكور)، لا تتذكر ذاتها فقط، وهي ترى وتحس وتتعلّم، بل تتذكر أوضاع عيش العالم، وهذه الأوضاع تحوي ضمناً؛ الجسد الخاص وأجساد الآخرين والمساحة المعاشة المشتركة، وأفق العالم، والعوالم الذي وقع تحته، فيما يسمّيه؛ «التعولم»، الذي يقصد به حالة الشعور بأننا نعيش في عالم يحيط بنا من كلّ الجهات (ريكور، 2009)، وهذا العيش في العالم يفترض أنّ الذاكرة مشتركة لكلّ المجموع البشري المؤطر بالمكان والزمان الذي يعيش فيه الناس، فهي ليست مجرد جمع عديد من الذاكرات الفردية، ولكنّها بناء جمعي واعٍ، واستحضار لأنماط العيش التي لا تتذكرها الجماعات، فهي بصورة أخرى اختزان عدد من الأحداث والعلاقات التي يمرّ بها البشر في مراحل حياتهم، مستحضرين محطات معينة بناء على المحفّزات المشتركة، والتي عادة ما تكون متأثرة بعوامل الزمن والسياقات المجتمعية والتاريخية (قاسي، 2022، ص. 8)، مما تشكل ظواهر عيش مشترك لدى الناس في سلوكاتهم عاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم وتصوراتهم للحياة، وتتجلّى هذه الأمور جميعها بوضوح في الرواية، حيث تقوم الذاكرة الجماعية بدورٍ محوري في بناء النصّ وتشكيل دلالاته، فهي تستعيد ذاكرة قرية؛ «جيم» وأهلها، وهي ذاكرة جماعية مرتبطة بتاريخ القرية وثقافتها وهويتها المشتركة، وهذه الذاكرة الجماعية تتجسد في ذكريات الشخصيات، وخاصة ذكريات الأخوين؛ محمد وعبدالله، اللذين يستعيدان ماضي القرية وأهلها من خلال ذكرياتهما الشخصية، يروي أحد الطفلين عن أبيه: «مازلت أحفظ عنه ما رواه لي عن قريتنا (جيم)، وأنها قرية قديمة وتاريخية، سكنها البشر منذ مئات السنين، يعود تاريخها ربما إلى قرون الجاهلية، وكثيراً ما كان يلقنني ما قاله الشاعر العربي فيها» (الزمّاي، 2024، ص. 75). وهذا التناقل الثقافي من جيل إلى جيل يؤكد على أهمية حضور الذاكرة الجماعية التي تحاول مقاومة النسيان، وبعيداً عن الجدل بين مفهوم الذاكرة الجماعية والذاكرة التاريخية، فإنّ الحرص من الأب لتلقين الابن تاريخ هذا المكان هو محاولة لتأكيد الهوية من خلال تلك الذاكرة، فالبعد التاريخي حاضر لا محالة لمكان الذاكرة الجمعية، والسرد في

أساسه هو؛ «رحلة في الزمان والمكان على حد سواء» (قاسم، 1985، ص. 99)، وهذه الرحلة تجعل المكان ذاكرة جماعية، تحضر معه كثير من الممارسات الإنسانية، سواء على مستوى الحياة البسيطة المباشرة أو تلك الحياة العامة التي تجعل القرية الصغيرة مليئة بالأحداث، حيث تلعب الأماكن والفضاءات دوراً محورياً في تجسيد الذاكرة الجماعية، فالقرية في الرواية ليست مجرد خلفية للأحداث، بل هي فضاء حيّ يحمل ذاكرة جماعية مرتبطة بتاريخ القرية وثقافتها وهويتها المشتركة. وقد أكد الفرنسي (بيير نورا) في دراساته حول؛ «أماكن الذاكرة»، أنّ الأماكن ليست مجرد فضاءات مادية، بل هي أيضاً فضاءات رمزية تحمل ذاكرة جماعية وتسهم في تشكيل الهوية الثقافية (نورا، 2009).

وغالباً ما تذهب الذاكرة الجماعية إلى تثبيت حدث دون غيره، ويظهر هذا التكريس في الحادثة الأهم في الرواية بحادثة النزاع في السوق الصغير، الذي حصل بين جماعتين كاد أن يشطر القرية إلى نصفين، ولذلك تكرر سرد هذه الحادثة مرّات عديدة في الرواية؛ لأنّه تمثيل على فكرة الذاكرة الجماعية، سواء لأهل القرية أو للطفلين: «عدنا إلى البيت محملين بما اشتريناه من السوق، إضافة إلى حادثة جديدة وقصة غريبة لا تحدث كثيراً في قريتنا. علك أخذت أفواه القرية تلوكه زمناً بعد ذلك، كأن كل الأعين رأت تلك الحادثة، روت ما شهدته لتشكل صورة موحدة لما عرف لاحقاً أو ربما اصطُلح على تسميته، كغالبية الأشياء التي تحدث في القرية باسم سالفة ذبحة غازي» الزمّاي، 2024، ص. 55). إنّ تداول الناس الاستذكاري للحادثة التي يروونها شكل من أشكال الذاكرة الجماعية، التي تحاول أن تعطي الحدث قيمة عالية وترسخه في الذاكرة الجماعية للقرية وأهلها، حتى تكون واحدة من أهم تلك القصص التي تروى.

وعلى رغم أنّ هناك كثير من النقاد والمفكرين الذين ناقشوا سؤال التداخل بين الذاكرة الفردية والذاكرة الجماعية، إلّا أنّ (ريكور) من جهته يفتح الذاكرة على بُعد آخر، هو بُعد اللغة التي تشكّلت من خلال الذاكرة، وهي لغة في الأساس داخلة في مساهمة الذوات الفاعلة القادرة على صناعة أفعالها، مما يشجعها على وجود سمات ممارسة الذاكرة التي تحمل علامات الآخرين، ومن ثُم تدخل إلى منطقة اللغة التي تُقال فيها الذكرى وتُعلن وتُصاغ ضمن اللغة المشتركة، اللغة الأم التي علينا أن نقولها وفق لغة الآخرين (ريكور، 2009)، وهذا الدخول إلى حيز اللغة لن يقل أهمية عن الدخول في الهوية الجامعة لكلّ تشكلات اللغة التي كانت عليها الرواية، سواء كانت هويات لغوية اجتماعية أو دينية أو غيرها.

وتتشابك الذاكرة الفردية والجماعية في اللغة تشابكاً وثيقاً، حيث تعمل اللغة جسراً بين العالم الداخلي للفرد والوعي الجمعي للمجتمع. فالذاكرة الفردية، بما تحمله من تجارب شخصية ومشاعر فريدة، تُشكِّل استخدام الفرد للغة من خلال المفردات التي يختارها والأساليب التي يعبّر بها عن سردياته الذاتية.

وفي المقابل، تحمل اللغة في طياتها ذاكرة جماعية تختزن رموزاً تاريخيةً وقيماً ثقافيةً وأمثالاً متوارثةً، تعكس تجارب مشتركة تُشكِّل هوية المجموعة، وهذا التداخل يظهر جليّاً عندما يعبّر الفرد عن ذاكرته الشخصية بلغة تستدعي مفاهيم جماعية، مثل استخدام مصطلحات مرتبطة بحدث تاريخيّ أو استعارة أمثال تُعبّر عن حكمة مشتركة. وفي الوقت ذاته، تُغذّي الذكريات الفردية الذاكرة الجماعية عبر الحكايات والأدب والفن، مما يجعل اللغة وسيطاً حيوياً يتنفس بين الخاص والعام، ويُجدِّد نفسه باستمرار عبر تفاعل الذات مع الآخر، وهكذا تصبح اللغة سجلّاً حيّاً للذاكرتين معاً، بحيث إنّها تحمل بصمة الفرد وصدى الجماعة في آنٍ واحد.

وفي رواية؛ «جيم»، تتجلّى العلاقة الوثيقة بين الذاكرة الفردية والجماعية، من خلال استخدام اللغة جسراً ينقل التجارب الشخصية إلى حيز المشترك الثقافي. فالحكايات الشفهية التي ترويها الأمّ والأب تُشكّل نواةً للذاكرة الجماعية، حيث تعمل اللغة هنا بوصفها وعاءً يحفظ العادات والعقائد ويُعيد إنتاجها عبر الأجيال. وعلى سبيل المثال، تُروى حكاية الأمّ عن طفولتها في بيت أهلها قبل الزواج: «كانت أمّي تحدثنا في حكايات ما قبل النوم بكثير من ذكرياتها في بيت أهلها... عن طفولتها وذكرياتها مع أخوتها ووالديها» (الزمّاي، 2024، ص. 31). هذه الحكاية ليست مجرد سرد فردي، بل تُصبح جزءاً من الوعي الجمعي الذي يربط الأبناء بجذورهم، مما يُظهر كيف تتحوّل الذاكرة الفردية إلى سرد جماعي عبر اللغة.

كما تُعبّر العادات الاجتماعية عن هذا التداخل، مثل طقس يوم الأربعاء في سوق البسطة، الذي يُوصف بمهرجان المشي الأسبوعي بالنسبة إلى النساء: «كان يوم الأربعاء هو مهرجان المشي الأسبوعي بالنسبة للنساء، فيوم الأربعاء هو نهاية الأسبوع وهو يوم (البسطة) الخاص بقريتنا» (الزمّاي، 2024، ص. 16).

هنا تُصاغ الذاكرة الجماعية عبر لغة مشتركة تُكرّس التقاليد، وكذلك أيضاً استخدام جملة محددة: (مسجد سوق البسطة)، لوصف المكان المؤقت الذي يُصلّى فيه، مما يعكس تواطؤاً لغوياً واجتماعياً يُشكّل هوية القرية. ولذلك فإنّ العادات الاجتماعية تشكّل جسراً يصل بين الذاكرتين، فالعادات؛ وطقوس الزواج، وأنماط الطعام، وحتى التحيات اليومية، ليست مجرد أفعال متكررة، بل تعكس التراكم الجماعي، وتعيد إنتاج الهوية للفرد من خلال انتمائه لهذه الجماعة. كما أنّ للمدرسة والعائلة الدور الأكبر في تعلم الأفراد عادات تعكس الذاكرة الاجتماعية، وكلّ فرد حينها يكون قادراً على دمجها مع تجاربه الشخصية، وفي كثير من الأحيان يكون هنالك صراع للتجديد، وذلك عندما تتعارض الذاكرة الفردية مع الجماعية، مثل؛ رفض عادات الزواج التقليدي، مما يسهم في إنشاء عادات هجينة لم تكن موجودة أساساً، بل هي نتيجة هذا الصراع والتجديد. ولذلك فإنّ حتى العادات الاجتماعية ليست ثابتة، وهو ما يجب أن نذكّر به، فهي نتاج تفاعل ديناميكي بين ما يختزنه الفرد في ذاكرته وبين قناعاته، وهذا الحوار هو ما يشكّل هوية مشتركة مرنة قادرة على التطور مع تغير السياقات التاريخية والثقافية.

أمّا في جانب آخر فنلاحظ أنّ بعض الأحداث القديمة المتداولة والعالقة في الذاكرة، والتي تُنقل شفاهياً، مثل قول أحد الرجال: «سنة عرس فريحة» (الزمّاي، 2024، ص. 58)، تُستخدم بوصفها مرجعيات زمنية، مما يُظهر اندماج الذاكرة الفردية؛ ذكرى عرس فريحة، بالذاكرة الجماعية؛ وتأريخ الأحداث بناءً عليها. هذا التشابك يبرز كيف تُصبح اللغة أداةً لترسيخ الهوية عبر تكرار السرد المشترك.

كما نلاحظ أيضاً في الرواية تصويرها للذاكرة الجماعية من خلال حكايات العائلة والعادات المجتمعية، حيث تُصاغ هذه الذكريات بلغة مشتركة تعكس الهوية والتراث، بحيث تُعدُّ اللغة هنا وسيلة لنقل القيم والعقائد، وتُشكّلُ جزءاً من نسيج الذاكرة، الذي يربط الأفراد ببعضهم وبماضيهم. وإذا ما حاولنا الإضاءة على بعض الأمثلة التي تُبرز هذا التداخل بين اللغة الجماعية والذاكرة المشتركة، فإنّ؛ سوق البسطة يوم الأربعاء، وهي العادة الأكثر تكراراً والتي يمكن أن ندعوها بمرآة للتماسك الاجتماعي، حيث وصف سوق البسطة في الرواية على أنه حدث أسبوعيّ يجمع أهالي القرية، خاصة النساء، في فضاء مشترك يعكس التضامن غير المعلن بينهم: «كانت أمّي تذهب إلى السوق مثل كل امرأة في القرية، ربما لم تكن تحرص على الذهاب كل أسبوع ولا حتى على اصطحابنا في كل مرة تذهب بها، ولكنها تذهب على كل حال» (الزمّاي، 2024، ص. 18).حيث إنّ ذلك اليوم: يوم الأربعاء، كان بمثابة مهرجان المشي الأسبوعيّ بالنسبة إلى النساء: «كانت زرافات النساء تقطع ساحة القرية الرئيسية جيئة وذهاباً بثقة من يمارس حقاً طبيعياً، يذهبن بأطفالهن، ويعدن بأطفالهن وأكياسهن» (الزمّاي، 2024، ص. 17).

وهنا نلاحظ أنّ صيغة الجمع (نحن) تُستخدم ضمناً عبر الحديث عن المشاركة الجماعية في السوق، حيث يتحوّل اليوم إلى طقس يعزّز الانتماء. فـ (نحن) الأطفال نربط ذكرياتنا برائحة بسكوت دِمة والبوسترات الملونة، بينما (نحن) بوصفنا مجتمعاً نعترف بقدسية هذا اليوم حقّاً طبيعياً للنساء في الاحتفاء بوجودهن العام. اللغة هنا تعكس الذاكرة الحسية الجماعية (رائحة السوق، ألوان البسكويت وغيرها) والتي تسهم في شكل كبير في تشكيل الهوية عبر الأجيال، حيث تتحوّل العادة إلى جزء من السرد التاريخي للقرية.

في مثالٍ آخر يمكننا أن نقرأ ضمن حكايات الأب عن أصل القرية (ج)، وكأنّ التاريخ يسرد بشكل جماعي، فتاريخ (ج) هنا يُروى من خلال حكايات الأب، وذلك بلغة تجمع بين الأسطورة والواقع. فنرى الأب يربط بين اسم القرية وتضاريسها الجغرافية: «حفظت عنه أنّ جيم القرية سميت نسبة إلى الجبل العملاق الرابض في غربها والذي يحمل سطحاً مستوياً في أعلاه، يتقدم حتى يتجاوز جذعه إلى الأمام، شبيهاً بالقبعة وجذعه الذي يدق من أوسطه، مشكّلاً فجوة واسعة في بطنه...» (الزمّاي، 2024، ص. 79).

والحكاية هنا ليست سرداً فردياً، بل خطاباً جماعياً يُعيد إنتاج الهوية، وخاصة عبر الاستشهاد بشعراء العصور القديمة، فالأب استخدم الشعر أيضاً وسيلةً للسرد مما يعكس اللغة باعتبارها حاملاً للتراث، حيث تُصاغ الذاكرة الجماعية بأسلوبٍ شعريّ يُذكّر بالأجداد، ويُبرز الاستمرارية بين الماضي والحاضر. فـ (نحن) الأبناء نسمع هذه الحكايات مراراً، فتصبح جزءاً من مخيلتنا الجمعية، حتى لو لم نعش التفاصيل المرويّة. فاللغة هنا تُحوّل التاريخ إلى أسطورة حيّة، تُمارس تأثيرها على الهوية الفردية والجماعية معاً.

كما أن الإشارة إلى الصلاوات في القرية يمكن أن يندرج ضمن مفهوم الذاكرة الجماعية، ذلك الطقس الديني المعزز للانتماء العقائدي من خلال وصف صلوات رمضان أو صلاة العصر في سوق البسطة، حيث تظهر العبادة كفعل جماعيّ يعكس التنظيم الاجتماعيّ: «توجه الرجال الباعة والمتسوقون إلى مساحة في منتصف سوق البسطة، صُفت عليها أحجار كبيرة على شكل محراب؛ لتشكل ما يعرف بـ مسجد سوق البسطة، فرشت ساحته بالرمل الناعم» (الزمّاي،2024، ص. 54).

هذه الصلاة ليست طقساً دينياً فحسب، بل فعلاً يُعيد ترتيب الأدوار الاجتماعية؛ التجار، الزبائن، الرجال، النساء. كما أنّ استخدام عبارات، مثل؛ التوجه إلى القبلة أو فرش الأرض بالرمل، يعكس لغة الطقس المشترك، حيث تُصاغ الذاكرة الدينية عبر أفعال متكررة تُمارس بوعي جماعي. (نحن) المصلّين نُعيد إنتاج الانتماء إلى الجماعة عبر هذه الطقوس، التي تُذكّر بأهمية التوافق بين الفرد والمجتمع.

وتُعدّ الأمثلة السابقة تأكيداً أنّ اللغة الجماعية تُشكّل بالفعل جسراً بين الذاكرة الفردية (ذكريات الطفل مع أمّه في السوق)، والذاكرة الجماعية (تاريخ القرية، الطقوس الدينية). وكلّ ذلك من أجل التركيز على نقل القيم المشتركة؛ مثل احترام العادات (السوق)، التمسك بالتراث (حكايات الأب)، والتقيّد بالدين (الصلاة). بهذا الإطار نرى أنّ العادات ليست مجرد عادة، بل هي لغة حيّة تُترجم فيها الذاكرة الفردية إلى فعل جماعيّ، ومن ثم إلى بناء الهوية من خلال الربط بين الممارسات الفردية والسرد الجماعيّ، وإعادة إنتاج الذاكرة عبر تكرار الحكايات والطقوس التي تُصبح جزءاً من الوعي الجماعيّ، ومن هنا التداخل يُظهر لنا أنّ الذاكرة ليست مجرد استحضار للماضي، بل هي عملية نشطة تُعيد تشكيل الحاضر عبر اللغة المشتركة، التي تعمل وسيطاً بين الأجيال.

ومرّة أخرى يعود (ريكور، 2009) ليطرح علاقة الذاكرة بالأقربين من الناس، على اعتبار أنّهم المستوى الأوسط بين الذاكرة الفردية والذاكرة الجماعية، فهم يقفون على سلم متنوع من المسافات داخل العلاقة بين الذات وبين الآخرين البعيدين بدرجات مختلفة من التباعد، بحيث يحيل هذا القرب أو البعد على تشكلات مختلفة من الذاكرة وتفاعلاتها مع الوجود المحيط سواء بذكريات الفرح أو الحزن أو القلق أو غيرها.

وتتخذ الذاكرة في الرواية أبعاداً مركبة تتفاعل مع درجات القرب والبعد بين الأفراد، حيث تُشكّل العلاقات العائلية

والصداقات مصفوفةً لبناء الذكريات الفردية والجماعية. ويُظهر النصّ كيف أنّ الأقربين — الأخوين أو الوالدين — يُعدّون وسطاء بين الذات الفردية والمجتمع الأوسع، مما يؤثر على تشكلات الذاكرة بمشاعرها المتنوعة؛ فرحاً، حزناً، قلقاً. وهو ما يدعى بالعلاقات المتوسطة، والتي تعدّ النسيج الذي تحاك فيه الخيوط الفردية (الذاكرة الشخصية)، مع الخيوط الجماعية (التاريخ المشترك)، لتنتج هويات مركبة، بالإضافة إلى ذاكرة حيّة تتجدد عبر التفاعل اليوميّ والأحداث (حكايات الجدة — نقاشات الأصدقاء)، وكذلك مرونة ثقافية تسمح للمجتمعات بالحفاظ على نفسها دون جمود. ولذلك يمكننا وصف تلك العلاقات بأنّها فن للتعايش بين الذات والأخر وكذلك بين الماضي والحاضر.

وحيث تتنوع وتتفاوت ذاكرة الأخوين: محمد وعبد الله، بفعل التفاوت في العمر والموقع الأسري، مما يخلق مسافات مختلفة في تفسير الأحداث. فمحمد بوصفه الأكبر، يتبنى دور الحامي الذي يُمارس سلطةً رمزية، فقد كان يستخدم ذكاءه ليضمن بذلك جلوسه في المكان المفضل لكليهما، هذه السلطة تُشكّل ذاكرة عبد الله الذي يشعر بالضعف، فهو يعتبر أنّ تأخر خروجه بعامين سبباً في دفع ثمن تأخره طوال حياته، مما يشكل بناء للسيرة الذاتية الشخصية واختلاف هذه السيرة عن أخيه، لكنها في المقابل تُظهر القرب العائلي وكيفية انتاج الذكريات والتفاعلات العاطفية المتباينة، مثل الغيرة والتنافس بين الأخوة. إنّ لتفاوت العمر والموقع الأسري كما ذكرنا دوراً جوهرياً في تشكيل الاختلاف في تفسير الأحداث داخل الجماعات الصغيرة (على مستوى العائلة)، وحتى ضمن المجتمع بشكل عام، هذا الاختلاف ناتج عن عوامل تتعلق بالخبرات المتراكمة، إضافة إلى الأدوار الاجتماعية التي يأخذها كلّ من الأخوين، وكذلك قابلية الوصول للمعلومات، فالأخ الأكبر هو الأوفر حظاً في حصوله على تلك المعلومات، كونه يستطيع دخول مجلس الرجال في بعض الأحيان واستراق السمع لتلك المعلومات العابرة، كما أنّ للسلطة الرمزية التي كان يمارسها على أخيه الدور الأكبر في تحقيق هذا الاختلاف. كما أنّ العاطفة التي يتمتع بها الأخ الأصغر ستحدد نظرته للمواقف من الجانب العاطفي.

وإذا ما لاحظنا كذلك علاقة الأخوين من خلال وصف لعبة (الدوري) التي ابتكراها في حوش المنزل، فقد كان لكلّ منهما دوره في تلك اللعبة، ومن خلال هذا الدور يمكن أن نستشف طبيعتهما واهتمامات كلّ منهما ومنحى الخيال لدى كلّ منهما كما في هذا الجزء من النص: «كان عبد الله حارساً ماهراً ويتفوق عليَّ بهذه المهارة، مثل مهارته في تنظيم كتبه وخزانته، أمّا أنا فكنت أنفر من حراسة المرمى» (الزمّاي،2024، ص. 26). وكان الخيال له الدور الأكبر في إنجاح تلك اللعبة، حيث إنّهما تمكنا من تخيل قطعة الحديد كمرمى متكامل، وكذلك طريقة إجراء القرعة باستخدام أوراق مرقمة، ووضع جدول للمباريات والنتائج، وعلى ذلك تُبنى الذاكرة عبر تفاعلين متضادين، وهما؛ التنافس (في تبادل الأدوار بين الهجوم والدفاع)، والتضامن (في ابتكار قواعد اللعبة معاً وتحديد أدواتها)، وهذه العلاقة التفاعلية تُظهر أنّ الذاكرة ليست سرداً فردياً، ولكنها عملية تفاوضية تُشكّلها الأدوار الاجتماعية داخل الأسرة، وبالتالي تُبنى الذكريات عبر التفاعل الجماعي، فـ (الدوري) ليس مجرد لعبة، وإنما نظام رمزيّ يُعيد إنتاج قيم التعاون والمنافسة داخل الأسرة. كما أنّ الذاكرة التشاركية بين الأخوين تعزز أيضاً الهوية المشتركة، حتى عند اختلاف تجربتيهما الفردية.

وبناءً عليه فإنّ هذا الاختلاف والتباين في تفسير الأحداث ليس عيباً، إنه أعمق من ذلك؛ إنه تعبير حقيقيّ عن حيوية الذاكرة وقدرتها على التكيّف مع السياقات المختلفة، وكذلك الاسهام بشكل بارز في بناء الهوية، فالفرد ليس نتاج سردية واحدة، بل هو تفاعل سرديات متعدّدة، وكلّ ذلك له دور هام في استمرارية التاريخ، فكلّ جيل يكتب فصلاً جديداً في الرواية الجماعية، دون إلغاء الفصول الأخرى، مما يدفعنا للقول بأنّ الذاكرة ليست أرشيفاً مغلقاً، بل حقل تفاوض دائم بين الماضي والحاضر، وكذلك بين الفرد والجماعة.

وإذا ما أردنا توضيح ما سبق عبر مثال آخر للتأكيد على أنّ الذاكرة جسر بين الفردي والجماعي، نقرأ في شخصية أبي فهد، تلك الشخصية المحورية، التي تربط بين ذاكرة الراوي (الفردية)، وتاريخ القرية (الجماعي): «لم أكن أتصور أن يتصل بي أبو فهد بعد هذا اللقاء الذي تم بينهم... ليخبرني بما حدث فيه وما حدث بعده. بل لم أكن أتصور أن رواية جديدة ستولد من هذه الأحداث، وأن تأتيني جاهزة هكذا، ومكتوب غالب أجزائها وأحداثها، دون الحاجة إلى بذل المزيد من الجهد فيها (الزمّاي، 2024)، وبذلك يمثّل أبو فهد حامل الذاكرة الجماعية، بحيث تتحوّل قصصه إلى مادة خام للرواية، مما يجعله وسيطاً بين الماضي (أحداث القرية)، والحاضر (عملية الكتابة).

ويمكن أيضاً النظر إلى عبارة؛ (رواية جاهزة)، على أنّها استعارة مكنية، تُستخدم لربط الفرد بالجماعة، فذكرياته ليست ملكاً له وحده/ بل إرثاً مشتركاً، كما أنّ الحوار الهاتفي يرمز إلى اتصال الذاكرة الفردية بالذاكرة الجمعية عبر وسيطٍ بشريّ، وتنطبق هنا فكرة الذاكرة الثقافية أيضاً، والتي تشير إلى كيفية حفظ المجتمعات لتاريخها عبر رواة مثل؛ أبو فهد، فدوره يشبه خزان الذاكرة الذي يُعيد إنتاج الهوية عبر السرد. وكما نعلم وكما تُظهر الدراسات النفسية أنّ الذاكرة السردية، أي (التي تعتمد على الحكايات)؛ تعزز الانتماء الاجتماعي، خاصةً عندما تُروى بشخصيات مألوفة.

ومن هنا يمكننا أن نطلق على هؤلاء الأخوين وأبي فهد، لقب وكلاء ذاكرة _ إن صح التعبير _ فهم لا ينقلون الذكريات فحسب، وإنما يُعيدون تشكيلها وفقاً لأدوارهم في الشبكة الاجتماعية وعلاقاتهم مع بعضهم البعض ومع الاخرين ضمن المجتمع، فالذاكرة لدى الأخوين تمتلك طابعاً تفاعلياً، حيث تُبنى عبر الصراع والتعاون، مما يعكس التوتر بين الفردية والجماعية.

أمّا الذاكرة عند أبي فهد فتجسد الذاكرة الوسيطة، والتي

تحوّل التجربة الفردية إلى سردٍ جماعيّ، مما يربط الهوية الشخصية بالهوية المكانية (القرية)، وهو يمثل أيضاً الشاهد الخارجي الذي يُعيد تشكيل ذاكرة الأخوين عبر روايته للأحداث، ولذلك فإنّ حضوره يُذكّر بأنّ الذاكرة ليست مُطلقة، بل قابلة للتعديل بتدخل الآخرين، حتى ولو كانوا أقرباء، وبهذا، تصبح العلاقات القريبة حقولاً ديناميكية للذاكرة، تتفاعل فيها المشاعر (قلق الغياب مثلاً أو فرح اللعب) مع البُنى الاجتماعية، لتخلق نسيجاً معقداً من الهوية الفردية والجماعية.

الذاكرة وتشكُّل المعنى

إنّ استدعاء فكرة المعنى هو استدعاء لما يمكن أن تتشكّل فيه الأشياء من حولنا، والذاكرة السردية واحدة منها، بوصفها مجموعة من العلامات اللغوية التي تتشكل منها الحياة داخل العمل السرديّ، ولعله يمكن القول بأنّ التقاء الظواهر والأشياء بالوعي الإنساني يجعل المجال مفسوحاً لأن تتشكّل الأبعاد المعرفية الجديدة، وتعمل اللغة بوصفها تعبيراً عن قدرة الوعي الإنساني بانفتاحه على العالم، فاللغة تقرب الأشياء من الإنسان، واستعمالها الأدبي ينقلها من التلقي المباشر إلى التلقي الفني (يوسف، 2016)، وعلى هذا فعلاقة اللغة بالذات الإنسانية علاقة أصيلة ولا يمكن أن تنفك، وعادة ما تتشكّل العلامات اللغوية وفق الخبرات الإنسانية، والتي كانت الذاكرة من أهمها بحيث يكون المعنى فيها حاضراً أثناء توالد الذكريات المسرودة، فالسرد هو معنى بحدّ ذاته، وارتباط السرد بالذاكرة هو ارتباط بتمثلات المعنى، والظاهراتية تؤكد على هذا الجانب وخاصة عند الناقد (دوفرين)، الذي يعدّ تشكّل العمل الأدبي إنّما يأتي من خلال ثلاثة مستويات؛ المحسوس ويقصد به الشكل، والمعنى الذي هو الموضوع المتمثّل، والتعبير الذي يقصد به العالم المعبر عنه (توفيق، 2015)، فمجمل السياقات المختلفة في الرواية تُشكّل ما يؤلف بنية العمل كاملاً، وهكذا تتجلّى المعاني من خلال كافة الأحداث والشخصيات والذكريات المتدفقة، ومرّة أخرى يُعاضد (ريكور) بين السرد والمعنى من خلال جعل الزمن إنسانياً بقدر ما يُعبر عنه بالسرد الذي يكون شرطاً للوجود الزمني (ريكور، 2006، ج1، ص95)، وإن كان يعتمد تأويلياً على حضور المعاني بالمزاوجة بين قصدية المؤلف وقصدية القارئ، ولكنه في بعض دراساته يصرّ على أنّ الخطاب إذا تحقق بوصفه واقعة لغوية، فُهم كلّه بوصفه معنى، ولكن هذا لا يمكن إلّا من خلال جدل المغزى والإحالة على العالم، والصلة بين اللغة والعالم هو شرط أنطولوجي للوجود في هذا العالم؛ لأنّ اللغة ليست مستقلةً بذاتها، ولكن لكوننا نعيش في العالم ونتأثر به فإنّ لدينا ما نقوله، ولدينا تجارب وخبرات ننقلها للغة (ريكور، 2006)، ولعلّ اتّصالنا بأشياء العالم من حولنا لا يمكن أن يتحقق إلّا من خلال وعينا اللغوي بها، والسرد أحد أهم تجليات اللغة في دواخلنا.

تتحقق هذه الرؤية في كيفية تشكّل المعنى في رواية: (ج)، من خلال سرد الحادثة الواحدة بمنظورين، وهذه ظاهراتية في المعنى، فالخبرة المختلفة في تلقي حدث القتل تولّد معاني متباينة بين الأخوين، إذ يخرج كلّ واحد منهما بتصورات ومعانٍ مختلفة، فالذاكرة السردية هنا تصنع معنى بحسب ساردِه.

وكما نعلم فالسرد الفرديّ؛ هو عبارة عن شخصية تعكس تجاربها الفردية والذاتية ومشاعرها وذاكرتها الخاصة، بينما في السرد الجماعي؛ هو سردية مشتركة تعبر عن رواية مجموعة، سواء عائلة أو مجتمع، وتبنى عبر التاريخ من خلال رموز، وايديولوجيات، وعقائد، وغيرها، ولطالما ظهرت صراعات مختلفة ضمن السرد الجماعي، وذلك بتعارض سرديتين على سبيل المثال، ولربّما أكثر (بحسب عدد الشخصيات التي تسرد الأحداث)، ويعدّ هذا التضاد ذا فاعلية كبيرة من أجل إعادة بناء المعنى بصورة أوضح وأشمل، فالحدث الذي يقرأ بمنظورين هو حدث أكثر وضوحاً؛ وذلك لأنّه يعطيه معنى جديداً، ورؤية جديدة، وهوية جديدة، فهو نسيج حِيكَ بخيوط تلك السرديات المختلفة، وما تلك الخيوط (السرديات) سوى تجارب شخصية وقناعات فردية ووجهات نظر تؤمن بما تراه. وبرغم هذا الاختلاف والتضاد فإنّ كلّ سردية تكشف جزءاً من الحقيقة، وفهم هذه الحقيقة بشكل كامل يستوجب أن نستمع لكافة الأصوات المتباينة، وأن نعترف بأنّ التناقض هو جزء من طبيعة الذاكرة، وأنّ المعنى الحقيقي والكامل ليس نتيجة ثابتة، لكنه عملية تفاوض مستمرة، فالقوة تكمن في تعدد الأصوات لا في الرواية الأحادية.

يُبرز السرد ثنائي الأصوات في الرواية من خلال كيفية إنتاج الذاكرة لمعانٍ متضادة من الحدث الواحد. فحادثة إصابة عبد الله بالحجر تُروى من وجهتي نظر؛ عبد الله الذي يعيش الألم الجسدي: «أكملت مسيري إلى المدرسة وأنا أعرج من ألم قدمي وحين وقفت في الطابور الصباحي، لم تستحمل قدمي كل ذلك الجهد، فسقطت مغشيًا عليّ « (الزمّاي، 2024، ص. 38)، بينما يروي محمد الحادثة كأنها خطأ غير مقصود، كان يحاول أن يظهر ندمه الشديد: «أخبرني أنّه لم يتعمد إيذائي، وإنما كان يقصد تهديدي فقط « (الزمّاي، 2024، ص. 38). هذا الاختلاف يُظهر أنّ الذاكرة ليست سجلاً موضوعياً، بل بناءً ذاتياً يتشكل عبر الزاوية التي يُنظر منها إلى الحدث.

وسيمكننا أن نلاحظ ذلك الاختلاف والتضاد في وجهتي النظر، وتفسير المعنى من منظورين مختلفين في مثال آخر، ألا وهو حادثة (ذبحة غازي)، التي تُصوَّر لدى محمد وكأنها قصة بطولية، وفعله هو فعل بطولي، حيث يروي محمد حادثة القتل من خلال عدسة المنظور الذكوري الذي يُبرر العنف وسيلةً لحماية الشرف، مستخدماً لغةً تُشبه سرديات الأفلام البطولية: «سحب زيد المسدس من درج سيارته... هجم راكضاً وأطلق النار على غازي وأرداه قتيلاً، ثمّ تجمّع المزيد من الرجال حولهما، وتكاثف المزيد من الغبار فوق تلك الجمهرة» (الزمّاي، 2024، ص. 82).

ويمكننا أن ننتبه إلى أن سرد الحدث جاء بوتيرة سريعة باستخدام أفعال متتالية، مثل: (سحب، هجم، أطلق)، مما يُضفي طابعاً دراماتياً يُذكّر بالسيناريوهات السينمائية، كما أنّه يستخدم

مصطلحات، من قبيل: (الدماء تُلوّن التراب)؛ ليُحوّل المشهد إلى لوحة فنية، تُضفي شرعية جمالية على العنف، فهو يشبّه زيد بالمحارب الذي يدافع عن القبيلة، عبر إبراز تفاصيل، مثل: (السيارة كمركبة حربية، والمسدس كأداة قتل)، بينما يراها عبد الله من وجهة نظر أخرى، فهو يعدّها مأساة إنسانية، ومتعاطف مع غازي ويشعر بصراع الضمير، كما تكون تلك الحادثة بالنسبة له مصدراً للذنب، وخاصة بعد أن شعر أنّه كان السبب في طعن فواز، بعد أن أرشد مطارديه إلى مكان توجهه ليصبح عالقاً في حالة من الخوف وتأنيب الضمير: «ما شأني أنا بكلّ هذا... هل خفت من نظرات المطاردين الثلاثة واستسلمت لحدتها... هل تعاطفت معهم لقتل ابنهم..... ما هذا يا ربي» (الزمّاي، 2024، ص. 111)، فالتباين في السرد هنا يعكس كيفية تحويل الذاكرة الفردية الحدثَ إلى رمزٍ ذي دلالات مختلفة، فهو على النقيض، يسرد الحادثة عبر منظور الضحية المضطهد، مُركّزاً على التفاصيل التي تعكس اللامعنى والعبثية، ويستخدم أسئلة الفلسفية الصغيرة التي تطرحها أداة الـ (لماذا)، ليعكس محاولاته الصغيرة لفهم الشرط الإنساني، بعيداً عن التبريرات الاجتماعية، وبالتالي فهو يسرد الذكريات المؤلمة بشكلٍ مُتقطعٍ، استعارةً عن عجز اللغة عن تمثيل الألم، فهو بوصفه الأصغر والأكثر حساسية، يعكس الذاكرة الجسدية التي تتعارض مع السرديات الرسمية، وهنا نراه يستخدم ذاكرته العاطفية مما يفسر هيمنة التفاصيل الحسية على سرده.

من هنا يمكن النظر إلى أنّ السرديات الفردية تُشكّل هوية الشخص عبر اختيار الأحداث التي تُعزز صورته الذاتية. فمحمد، بوصفه الابن الأكبر، يسعى لتعزيز مكانته بوصفه «البطل»، عبر ربط الحدث بقيم الشجاعة (حتى لو كانت مُتخيَّلة)، أمّا عبد الله فيتحدث عن تلك المأساة من ناحية عاطفية وإنسانية، وبالتالي فإنّ المعنى هنا يتشكّل من منظورين ووجهتي نظر مختلفتين، وبالتالي يمكننا الحديث عن تعدد المعنى من وجهتي نظر.

كما وأنّ حادثة مقتل «غازي» على يد «زيد» في الرواية تُمثّل نموذجاً لتعدُّدية المعنى التي تولدها الذاكرة السردية، حيث يُسقط كلّ من الأخوين؛ محمد وعبد الله، رؤيتهما الذاتية على الحدث نفسه، بناءً على موقعهما النفسي والاجتماعي.

ويُظهر النصّ كيف أنّ الذاكرة تُصبح أداةً لبناء الهوية (هوية الشخصية)، وكذلك تفكيك الواقع عبر توظيف لغة تعكس الانزياح المختلف بين التجربة الفردية والرواية الجماعية، فالذاكرة بوصفها ساحة صراعٍ بين المعاني والاختلاف في سرد الأخوين، لا يعكس تبايناً في التجربة فحسب، بل صراعاً على السلطة الرمزية داخل المجتمع؛ محمد، يمثّل (الرواية الرسمية) للقرية، التي تُبرر العنف ضرورةً اجتماعية، وعبد الله، الذي يمثّل (الرواية المضادة) التي تكشف عن الوجه الإنساني المنسي، وهذا التباين يتوافق مع مفهوم السلطة والمعرفة، حيث تُشكّل الذاكرة أداةً للسيطرة على السرد، فرواية (ج) تُظهر أنّ الحقيقة ليست حدثاً موضوعياً؛ إنها نسيج من السرديات المتصارعة، التي تُعيد تشكيلها اللغةُ وفقاً لموازين القوى الخفية، وبهذا، تُصبح الرواية استعارةً عن ذاكرة المجتمع نفسه، التي تُكتب دائماً بأقلام المنتصرين، بينما تظلُّ أصوات الضحايا همساً يُحاول اختراق الصمت.

الاسترجاع السردي

إن العملية السردية في الرواية، هي في الأساس معطى زمني، فلا يمكن أن تكون هناك حالة سردية إلّا وفق العامل الزمني الذي يشكّل التجربة الإنسانية من خلال اللغة المحددة بتدفق الزمن السردي، ولذلك أكد (جيرار جينيت) على استحالة إغفال العناصر الزمنية في العملية السردية، ولا بدّ حينذاك إلّا أن تحكى القصة في زمنها، سواء كان ماضياً أو حاضراً أو حتى مستقبلاً (بحواي، 2009)، وعليه يمكن اعتبار الزمن السردي سؤالاً أساسياً في العمل الروائي، وعادة ما جمع النقاد ما بين المستويين؛ اللغوي والزمني في أيّ عمل سردي، وتعدى الأمر عند بعضهم إلى درجة أنّه أسند الدور للغة في تجلية عامل الزمن نفسه، إذ من خلال اللغة تظهر تجربة الإنسان داخل العالم الذي هو عالم زمني، ذلك أنّ اللغة نظام أو ظاهرة إشارية تسهم في تفكيك الخطاب لدى المتلقين، والنظام الزمني هو نظام لغوي لدى عدد كبير من النقاد (مصطفى، 2015)، ولعلّ منهم (بول ريكور) الذي يجعل التجربة الزمنية تجربة إنسانية حينما يعبر عنها بطريقة سردية، بحيث يتوفّر السرد على معناه الكامل حين يصير شرطاً للوجود الزمني، كما أُشير إلى ذلك أكثر من مرّة أعلاه.

والذاكرة السردية تعتمد على تقنية الاسترجاع الزمني في عملية تسريد الأحداث الماضية، بحيث يحيل الاسترجاع إلى الماضي دائماً، من خلال العودة بالسرد إلى الوراء، ولذلك فإنّ عملية استرجاع الزمن السردي هي محاولة لتفعيل أو اشتغال الذاكرة بتعبير (بو عزة، 2010)، وهذه العودة إلى الماضي تؤكد حضور الذاكرة في النصّ لأنّ القصة عادة ما تُروى في غير زمن الحكي بالتأكيد، وعلى هذا الأساس يتوجب في العملية السردية في حال الذاكرة العودة إلى زمن أقدم من زمن السرد، فليس الماضي هو ما مضى ولكنه ما نحاول أن نسترجعه في صيغ سردية خيالية أو تاريخية، على حد تعبير (ريكور، 2009).

وفي رواية «ج» فإنّ الاعتماد الكلي في جملها السردية كان دائماً من خلال اللغة التي تحيل على الماضي، فالذاكرة الزمنية هي ذاكرة لذلك الماضي الطفولي، الذي يعود إلى حقبة زمنية لم تعد موجودة على مستوى زمن السرد، أو على مستوى زمن الحكاية نفسها، لتتكشف الرواية عن ذاكرتها من خلال تزمين السرد في سياق الماضي البعيد، وهذا الماضي ليس مجرد ذكرى، بل هو قوة تحدد الحاضر.

والاسترجاع في العمل الأدبي هو محاولة لنقل القارئ إلى حدث سابق؛ لشرح دوافع الشخصيات أو سياق الأحداث الحالية، فالماضي يُقدم مثل لغز يجب حلّه لفهم الحاضر، وكما نعلم فإنّ تسلسل الأحداث الخطي يكون من خلال التسلسل

التالي: ماضي– حاضر – مستقبل، أمّا عند كسر هذا التسلسل عبر تقنية الاسترجاع، فإنّ لهذا التسلسل نمط آخر، وهو العودة إلى الماضي، ثمّ القفز إلى المستقبل، وفي كثيرٍ من الأحيان يكون الهدف من تكرار الاسترجاع الإشارة إلى أنّ الحاضر ليس سوى صدىً للماضي، أي أنّ الماضي مستمر، وليس له نهاية، فيصبح الحاضر ماضٍ متخيّل، أو أنّ الماضي شبح يطارد الحاضر، ولكن يظلّ الهدف الأسمى للاسترجاع هو فهم دوافع الشخصيات بشكل أكبر، ويمكن في بعض الأحيان التعاطف معها وتبرير أفعالها.

إنّ الاسترجاع ليس تقنية جمالية فحسب، ولكنه أيضاً بيان واضح عن سطوة الماضي وتحويل الحاضر إلى مجرد مسرح لاستعراض أحداث الماضي، وكلّ الشخصيات تتحوّل إلى سجناء ذاكرة، والتحرر منها يمكن أن يكون مستحيلاً، فالإنسان هنا يحمل ماضيه كحقيبة ظهر ثقيلة، ويسير بها إلى مستقبل مجهول.

تعتمد رواية «ج» على تقنية الاسترجاع الزمني بوصفها أداةً مركزيةً لبناء عالمها السردي، حيث تُعيد تشكيل الماضي الطفولي عبر لغةٍ تُحيل إلى زمنٍ مفقود، ليس باعتباره تاريخاً منغلقاً، ولكنه فضاء حيويّ يتفاعل مع حاضر الشخصيات. يُستخدم الاسترجاع هنا ليس فقط لسرد الأحداث، بل لإعادة تشكيل الهوية عبر ذاكرة تتنوع بين الحنين والمرارة.

إنّ استخدام الفعل الماضي من قبيل: (كانت، نلمح، نبحث)، يُحوّل الماضي إلى حاضرٍ سردي، وكأنّ الحدث يعيش في ذاكرة الراوي بكلّ تفاصيله، كما أنّ التركيز على الروائح (رائحة البسكويت)، والألوان (العلبة البنفسجية)، يُحيي الذاكرة عبر تفعيل الحواس، مما يجعل الاسترجاع تجربة جسدية وليست ذهنية فحسب ومرتبطة بالحواس، بالإضافة إلى أنّ الملصق داخل علبة البسكويت يُصبح استعارةً للذاكرة نفسها كشظايا ملونة تُجمع لخلق صورة كاملة.

نرى أنّ محمد يستعيد طفولته في القرية، مستخدماً الزمن الماضي لخلق مسافة بين الذاكرة والواقع، كما يُظهر عبد الله كيف يُشكّل الماضي هويته الحالية، فالقرية هي كلّ ما يعرفه من البلدان والعوالم والأخرى، وناسها هم كلّ ما يعرفه من أشخاص، وهنا يصبح الاسترجاع أداةً لفهم الذات عبر استحضار اللحظات المؤسِّسة.

كذلك فإنّ حكاية الأب عن أصل القرية يعزز دور الماضي كأسطورة تأسيسية، بالإضافة إلى أنّ تحويل الحكاية إلى قصيدةٍ نبطية كما قرأنا في بعض الأبيات الواردة في الرواية، يعكس تسيّس الذاكرة، حيث يُصبح الماضي أداةً لتعزيز الانتماء للقرية.

كما أنّ الألم الذي تمت الإشارة إليه جلياً من خلال استخدام كلمة (اليوم)، في سياق الحديث عن الماضي، ما يُشير إلى استمرارية الألم (الجرح) في الحاضر، مما يُضعف الحدود بين الزمنين، ويشكل جسراً زمنياً كما تحدثنا عنه سابقاً.

وإذا ما تناولنا حادثة مقتل غازي، والتي يُعدّ من خلالها الاسترجاع بوصفها أداةً لتفكيك الحاضر، تُسرد تلك الحادثة مرتين؛ مرّة عبر منظور محمد (الابن الأكبر)، وأخرى عبر منظور عبد الله (الابن الأصغر)، وهذا ما تناولناه في قسم سابق، وأوضحنا أبعاده، ولكن يمكن أيضاً ملاحظة أنّ إعادة سرد الحدث نفسه بمنظورين يُظهران أنّ الذاكرة ليست نسخةً طبق الأصل، بل تفسيراً شخصياً، ومن هنا نجد أنّ تعددية المنظورات في هذه الرواية تُشبه مفهوم التعددية السردية، والتي ترفض الرواية الأحادية للتاريخ.

إضافة إلى كل ذلك فإنّ استخدام تلك الحكايات الشعبية يعدّ وسيلةً لحفظ الهوية الجماعية، فالأب، بوصفه حامل الذاكرة، يُعيد إنتاج التاريخ على أنها رواية عاطفية تُبرر وجود القرية رغم التحديات، وهو ما يؤكد أنّ التاريخ يُسرد دوماً عبر عدسة أيديولوجية، فالسرد هنا يَعمد إلى تنظيم الزمن عبر ربط الماضي بالحاضر في حبكةٍ ذات معنى، فالاسترجاع السردي في شكل من أشكاله هو إعادة بناء للطفولة في فترة تشكّلت فيها هوية الطفلين أو هوية القرية، ولا يمكننا أن ننسى بأنّ التفاصيل الحسية تعمل مثل نقاط ارتكاز تمنع الذاكرة من التلاشي، وبالتالي فإنّ الرواية لا تسترجع الماضي من أجل إغلاقه، ولكن الهدف هو إبقاؤه جرحاً نازفاً، واللغة هنا _كما ذُكر آنفاً_ تصبح جسراً بين زمنين: زمن السرد (الحاضر)، والذي من خلاله يُحاول الراوي فهم ذاته عبر تفكيك طفولته، أما الآخر فهو زمن الحكاية (الماضي)، والذي يُمارس ضغطاً على الحاضر مثل شبحٍ لا يُغادر.

ومع هذا التوضيح تُصبح تقنية الاسترجاع في رواية (ج) استعارةً عن الذاكرة وكأنها سجنٌ وجودي، حيث يُعيد الماضي تشكيل الحاضر بلا توقف، مثل دوامةٍ زمنيةٍ لا تنتهي. كما أنّ الاسترجاع جاءَ إيقاعَ ضبطٍ لأحداث الرواية، وكان شاهداً حيًّا على مصير الشخوص كما أنّه شكّل عنصرًا فعالًا يغذي حركة الصراع فيها (عثمان، 1982).

الخاتمة

إنّ فعل الذاكرة هو فعل لغوي في الأساس، لكنّه يتشكل وفق الزمن السردي الذي يتمّ استعادة الماضي من خلاله، ولذلك يمكن إعادة ذلك الماضي من خلال تقنية الاسترجاع الزمني، أو حالة التذكر التي هي فعل قصدي لدى الظاهراتية، بوصف الذاكرة أحد تجليات الواقع المعيش، الذي تمّ استعادته عن طريق سرد الحكاية من جديد، والسرد في رواية (ج) إنّما قام على أساس الذاكرة السردية التي تأسست على معطيات عديدة، من خلال ذاكرة الأخوين الصغيرين التي ما فتئت تعيد حكاية أحداث الماضي وفق منظورين سرديين، ما يجعل الحادثة الواحدة تتشكّل وفق معانٍ مختلفة أو وفق تصور مختلف.

ولا يمكننا اعتبار السرد في هذه الرواية إلّا عملية إبداعية، تعيد صياغة الواقع عبر اللغة المبدعة، وأن ذلك الاختلاف في رواية الأخوين، كما قرأنا، يؤكد لنا بأنّ الحقيقة ليست واحدة، وهي ليست بالمطلقة أبداً، بل تتعدد بتعدد الزوايا، فكلّ شخص له منظور يرى من خلاله ما يعتبره الحقيقة المطلقة، وما هي فعلياً

الأجزاء من الحقيقة، فالحقيقة نسبية دائماً، وقد وصفها أحد الفلاسفة في يوم من الأيام بأنّها المرآة التي سقطت وتكسرت، وكلّ منّا أخذ جزءاً منها، فظنّها الحقيقة الكاملة، فقد كانت تلك الألعاب التي تحدث عنها الأخوين تتطور باستمرار، وذلك من خلال ما يضيفونه كلّ يوم من قواعد جديدة أو أدوات مساعدة لم تكن متوفرة في البداية، وهو ما يعكس أيضاً تطور منظورها لتلك الألعاب، وترك مساحة للخيال ليكون حاضراً في كلّ منها، حتى تحقق إشباع الرغبة في كسر حدود الواقع، وتخيل واقع يعزز ما يتمنيانه من تلك الألعاب.

كما أنّ تقنية الانزياح الزمني مثل الاسترجاع تبرز أهمية الذاكرة، فهي ليست أرشيفاً فقط، بل حواراً مستمراً بين الماضي والحاضر، فالرواية، بهذا، تُقدّم الذاكرة بوصفها فعلاً مقاوماً للنسيان، حيث تقوم اللغة بإعادة تشكيل العالم عبر عيون مَنْ عاشوه، مُحوّلةً التجربة الفردية إلى تراثٍ جماعيّ.

التوصيات

1. توسيع دائرة البحوث الأكاديمية حول الروايات التي كانت تهتم بالذاكرة وسرد الماضي والاهتمام بالتفاصيل الأخرى التي يصعب حصرها في دراسة واحدة.
2. البحث في مدى اختلاف الروايات التي اشتغلت على موضوع الذاكرة والموازنة بينها ومدى تحقق اختلاف الذواكر السردية من رواية إلى أخرى كشفاً عن الهويات المتعددة في السرد العربي.
3. التركيز على الروايات العربية أو الخليجية، أو السعودية تحديداً، التي تفتح آفاقاً لفهم الهوية الشخصية أو الجمعية ومدى تحقق ذلك في الروايات المختلفة.
4. الكشف عن التقنيات السردية والتحولات الروائية العربية واختلافها في زمنها وموضوعاتها وأسالبها ومدى اقترابها من الثقافة العربية أو ابتعادها عنها وتأثرها بالرواية العالمية.
5. تفعيل البحث في المؤثرات التراثية والتاريخية والدينية والشعبية في السرد العربي وربطها بالروايات العالمية والمقارنة بينها لمعرفة أوجه استلهام الذاكرة الماضية أو التراث الإنساني المشترك.

المراجع

البحراوي، حسن. .(2009) بنية الشكل الروائي: الفضاء، الزمن، الشخصية. المركز الثقافي العربي.

بوشيه، غي. .(1991) المتخيل: المفهوم ووظائفه في الخطاب الأدبي (ترجمة: محمد بنيس). دار توبقال للنشر والتوزيع.

بوعزة، محمد. .(2010) تحليل النص السردي: تقنيات ومفاهيم. الدار العربية للعلوم ناشرون.

توفيق، سعيد. .(2015) الخبرة الجمالية: دراسة في فلسفة الجمال الظاهراتية. الدار المصرية اللبنانية.

حليفي، شعيب. .(2015) مرايا التأويل: تفكير في كيفيات تجاور الضوء والعتمة. دار رؤية للنشر والتوزيع.

خوري، أنطوان. .(1984) مدخل إلى الفلسفة الظاهراتية. دار التنوير.

ريكور، بول .(1999). الحياة بحثًا عن السرد. في ديفيد وود (تحرير)، الوجود والزمان والسرد: فلسفة بول ريكور (ترجمة: سعيد الغانمي). المركز الثقافي العربي.

ريكور، بول. .(2009) الذاكرة، التاريخ، النسيان (جورج زيناتي، ترجمة). دار الكتاب الجديد المتحدة.

ريكور، بول. .(2016) الذاكرة والسرد: حوارات (سمير مندي، ترجمة). دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.

ريكور، بول. .(2006) الزمان والسرد: الحبكة والسرد التاريخي (ج1) (ترجمة: سعيد الغانمي وفلاح رحيم). دار الكتاب الجديد المتحدة.

ريكور، بول. (2005). صراع التأويلات: دراسات هيرمينوطيقية. (ترجمة: منذر عياشي) دار الكتاب الجديد المتحدة

ريكور، بول. .(2006) نظرية التأويل: الخطاب وفائض المعنى (ترجمة: سعيد الغانمي، ط2). المركز الثقافي العربي.

الزمّاي، عبد الله.. .(2024) رواية ج. دار رشم للنشر والتوزيع.

عثمان، عبد الفتاح.. .(1982) بناء الرواية: دراسة في الرواية المصرية. مكتبة الشايب.

العسري، عادل آيت. (2021). ثنائية التذكر والنسيان في مطالع القصيدة العربية القديمة: بحث في علاقة الشاعر بالجماعة. *مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية*، 13(1)، 180-189.

العيسى، منال.. .(2013) تمثيلات الذات المروية على لسان الأنا. الدار العربية للعلوم ناشرون.

قاسم، سيزا.. .(1985) بناء الرواية. دار التنوير للنشر والتوزيع.

قاسي، فريدة. (2022). الذاكرة الجماعية وإشكالية كتابة التاريخ. *مجلة الآداب والحضارة الإسلامية*، 14(28)،1-17.

القيس، امرؤ.. .(2000) ديوان امرئ القيس وملحقاته بشرح أبي سعيد السكري (ج1) (تحقيق ودراسة: أنور عليان أبو سويلم ومحمد علي الشوابكة). مركز زايد للتراث والتاريخ.

ماركيز، غابريل غارثيا.. .(2005) عشت لأروي (ترجمة: صالح علماني). دار المدى للنشر والتوزيع.

ماكوري، جون.. .(1982) الوجودية (ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام). عالم المعرفة (58)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

مصطفى، منصوري.. .(2015) سرديات جيرار جينيت في النقد العربي الحديث. دار رؤية للنشر والتوزيع.

النحال، مصطفى.. .(2024) الرواية التاريخية الجديدة ورهان التخييل. مركز أبو ظبي للغة العربية، دائرة الثقافة والسياحة.

نورا، بيير. .(2009) أماكن الذاكرة (ترجمة: زهير الخويلدي). دار توبقال للنشر والتوزيع.

ورنوك، ميري. .(2007) الذاكرة في الفلسفة والأدب (ترجمة: فلاح رحيم). دار الكتاب الجديد المتحدة.

هاليفاكس، موريس. .(2016) الذاكرة الجمعية (ترجمة: نسرين الزهر). المركز العربي.

هوسرل، إدموند. .(2007) فكرة الفينومينولوجيا (ترجمة: فتحي إنقزو). المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية.

يوسف، عبد الفتاح أحمد. .(2016) العلامات والأشياء: كيف نعيد اكتشاف العالم في الخطاب؟ ابن النديم للنشر والتوزيع.

Al-‘Asri, ‘Adil Ayt. (2021). Thunayyat al-tadhakkur wa al-nisyan fi matali‘ al-qasidah al-‘Arabiyyah al-qadimah: Bahth fi ‘alaqat al-sha‘ir bi-al-jama‘ah (in Arabic). *Majallat al-Akademiyyah lil-Dirasat al-Ijtima‘iyyah wa al-Insaniyyah,* 13(1), 180–189.

Qasi, Faridah. (2022). Al-dhakirah al-jama‘iyyah wa ishkaliyyat kitabah al-tarikh (in Arabic). *Majallat al-Adab wa al-Hadarah al-Islamiyyah,* 14(28), 1–17.

Journal of Human Sciences
At Hail University

جامعة حائل
University of Ha'il

Journal of Human Sciences

A Scientific Refereed Journal Published by University of Hail

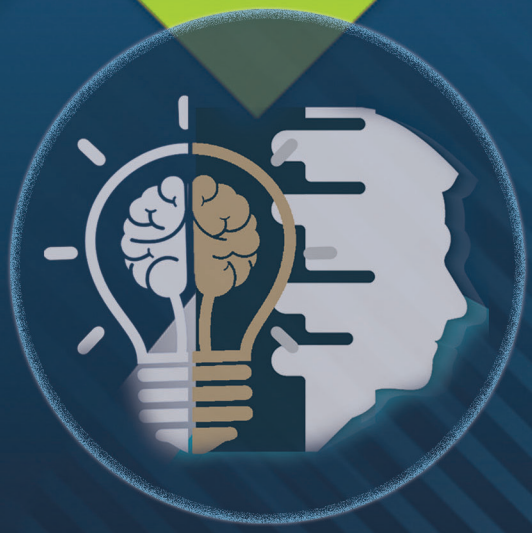

Eighth year, Issue 28
Volume 2, December 2025

Arcif Analytics

Print 1658 -788 X
Online E- 8819-1658